ولا يجرمنكم شنآن قوم على الاّ تعدلوا،
اعدلوا هو اقرب للتقوى

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

المجلد الخامس، العدد ٥، ربيع الأول وربيع الثاني ١٤١٣ هج
الموافق سبتمبر (أيلول) ١٩٩٢

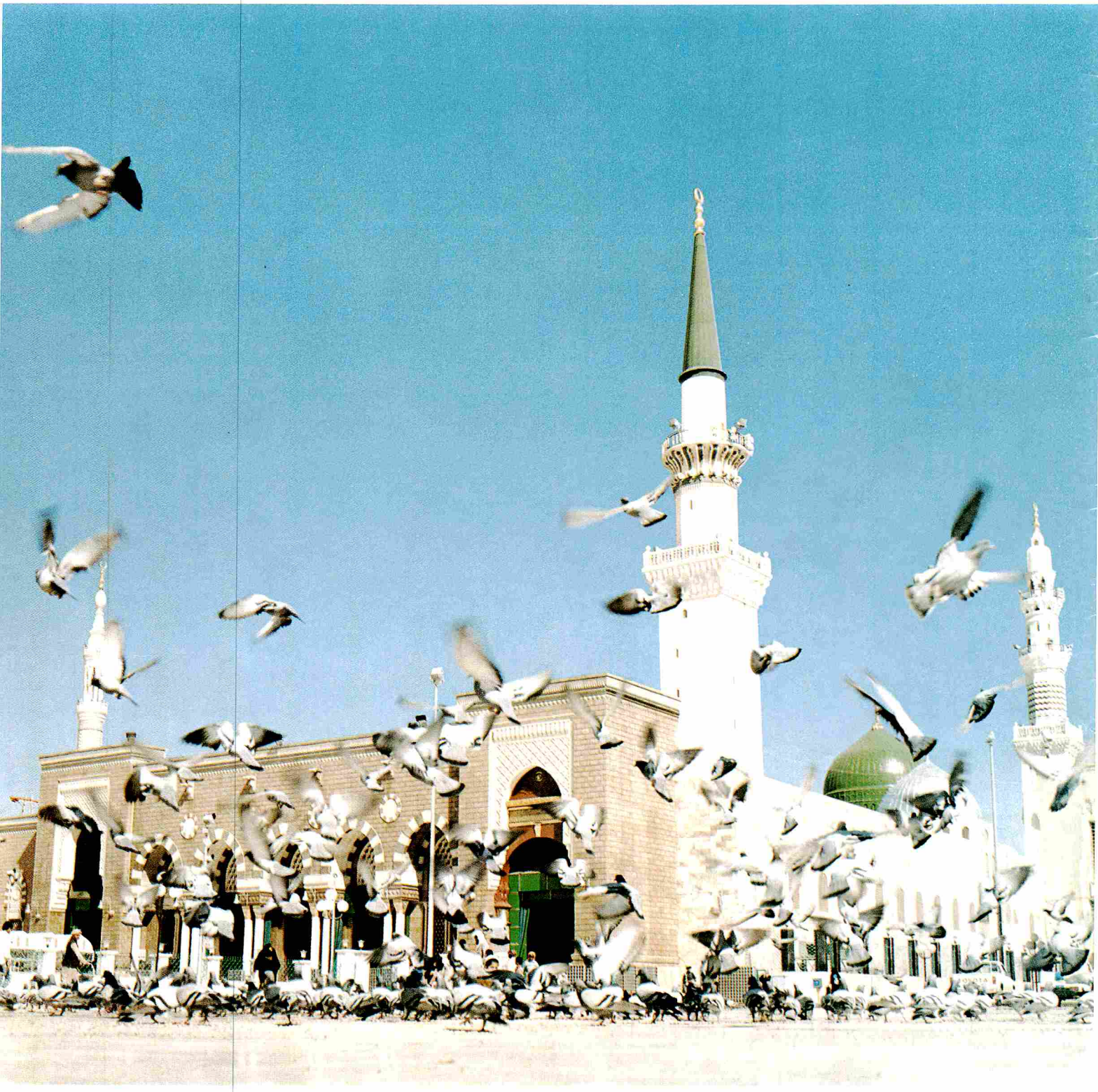

بسم الله الرحمن الرحيم

التقوى

مجلة اسلامية شهرية

تصدرها
دائرة الشؤون العربية
في
الجماعة الاسلامية الأحمدية

مدير الادارة
صفدر حسين عباسي

رئيس التحرير
طاهر عبد العزيز

هيئة التحرير
الحاج محمد حلمي الشافعي
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

دار النشر والتوزيع
الشركة الاسلامية الدولية

المراسلات باسم رئيس التحرير
العنوان:

The Editor "Al Taqwa"
Islamabad, Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU 10 2AQ
England

«الرقيم»
اسلام اباد ـ بريطانيا

محتويات العدد

الافتتاحية	٢
في عالم التفسير	٣
من جوامع الكلم	٦
كلام الإمام	٧
محمد المصطفى ﷺ.. مصدق التوراة والإنجيل؟!	٨
قرأت لك	١٨
دعوات الأنبياء وخلفياتها	٢٠
بدون تعليق!!	٢٧
نظراتٌ «أحمدية» في القرآن الكريم	٢٨
أخبار الجماعة	٣١

ثمن النسخة : جنيه ونصف ٤١.٥ والإشتراك السنوي ٤١٨ او ما يعادل ذلك خارج بريطانيا. ترسل قيمة الإشتراك باسم التقوى الى عنوان المجلة

الافتتاحية

إن حب الله عز وجل ثم حب نبيه المصطفى ﷺ هو المحور لإيمان ونجاة كل مسلم. والحق أن الإنسان الآن لا يستطيع أن يتشرف بحب الله وقربه إلا إذا حظِيَ بإيمان صادق وحب صادق واتباع صادق للمصطفى ﷺ. قال الله تعالى في القرآن لحبيبه: [قل إن كنتم تحبون الله فاتّبعونى يُحْبِبْكم اللّه]. وقال سيدنا محمد المصطفى ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

هذه الحقيقة الإيمانية قد أدركها سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أيما إدراك بفضل الله ورحمته. فتفانى في عشق ربه سبحانه وتعالى، وأُشْرب قلبه حب المصطفى ﷺ.. بحيث يتضوع كل كلمة وسطر من كتاباته وملفوظاته بمسك حب الله وحب حبيبه. ولقد أعلن حضرته في أحد كتبه: إن كل ما نلتُه من مقام سامٍ وفضل إلهي إنما نلتُه بفضل حبي الصادق واتباعى التام لسيدي ﷺ. فوالله، لو كانت أعمالى كالجبال لما كنت لأحظى بهذا الشرف بدون ذلك.

ويقول حضرته أيضا:

«اليوم، ليس لبني آدم كلهم رسول ولا شفيع إلا محمد المصطفى ﷺ..عليكم أن تسعَوا جاهدين أن تقيموا رابطة حب صادق مع هذا النبي ذي الجاه والجلال، ولا تفضِّلوا عليه غيره بأي شكل.. لكي تُكتبوا في السماء من الناجين. وتذكروا أن النجاة ليس شيئا يظهر بعد الموت.. وإنما النجاة الحقيقية هي تلك التي يظهر نورها في هذه الدنيا. من هو الناجي؟ هو ذلك الذي يوقن بأن الله حق، وأن محمدًا هو الشفيع بينه عز وجل وبين خلقه، وبأنه لا رسول بمنزلته، ولا كتاب بمرتبة القرآن تحت السماء. لم يُرد الله لأحد أن يحيا حياة أبدية.. بيد أن هذا الرسول حيّ إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ١٩، سفينة نوح، ص ١٣، ١٤).

وقال قوله الفيصل بينه وبين معارضيه الذين رموه بأنواع التهم المنكرة الباطلة، في بيت شعر بالفارسية بما معناه:

وإنى لَنشْوانٌ بعشق محمدٍ ... من بعد حب الله جل جلالُهُ

إن كان هذا الكفرَ إنى لكافر ... ربي شهيد، قد سباني جمالُهُ

أللهم ارزقنا حبًا لك وللمصطفى ولمن أحبك، وأحينا على هذا الحب وتوفنا عليه. آمين. [التحرير]

بسم الله الرحمن الرحيم

في عالم التفسير

بقلم حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لسيدنا المهدي عليه السلام

[قال:يادم أَنْبِئْهم بأسمائهم.فلما أَنْبَأَهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إني أعلم غيبَ السمٰوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * ٣٤ *]

شرح المفردات:

تبدون: بدا الأمر: ظهر، وأبدى الأمر: أظهره.(الأقرب)

تكتمون: كتم الشيءَ أو الحديث: أخفاه. كتم الفرسُ الرَّبوَ أي ضاق منخره عن نَفَسه.(الأقرب). فحالة عجز الفرس عن إخراج نَفَسه يسمى كتما. وقد قال ابن عباس في قوله تعالى [ولا يكتمون الله حديثا] أن المشركين إذا رأوا أهل القيامة لا يدخل الجنة إلا من لم يكن مشركا قالوا: [والله ربِّنا ما كنا مشركين].. فتشهد عليهم جوارحهم، فحينئذ يودون أن لم يكتموا الله حديثا.(المفردات).

التفسير:

مع أن الملائكة فهِموا على وجه الإجمال الغرضَ من خلق آدم (عليه السلام).. ولكن استكمالا للدليل أمر الله تعالى آدم ببيان كمالات الخاصة من أمته أو نسله لكي تتبين الحقيقة عمليا بعد أن اتضحت علميا.

وليس المراد بهذه الآية أن محادثة جرت بين رب العزة وبين الملائكة وآدم، بل إنها تعبر عن بعض الحقائق بلسان الحال، حسب أساليب اللغة العربية المعروفة مثل قولهم: قالت له العينان سمعًا وطاعةً، أو قولهم: امتلأ الحوضُ فقال قَطْني.. فليس ضروريًا أن يكون هذا الحوار قد تم فعلاً بين الله وآدم، بل يمكن أن يكون آدم قد بدأ بأمر الله تعالى بيانَ الصفات الإلهية التي كان من المقدر ظهورها عن طريق نسله. وهكذا انكشف للملائكة مدى الرقي الروحاني الذي يمكن أن يحققه الإنسان.

كما ليس المراد من تعليم آدم أن الله أجلسه أمامه يعلمه، وإنما معناه أنه تعالى آتاه علم الصفات الإلهية واللغة وخواص الأشياء إما بالوحي الخفي أو بالوحي الجليِّ أو بكليهما. وقوله: [فلما أنبأهم بأسمائهم] يعني أن آدم عليه السلام لما شرع في بيان تلك الصفات الإلهية التي سوف تظهر في أمته عامَّة وفي الكاملين منها خاصة، علِم الملائكة أن لا أحد يستطيع الاتصاف بالصفات الإلهية كما يقدر الإنسان ذلك.

أما والأمر كذلك.. فقد انكشف للجميع أن الله تعالى العليم الخبير، هو الأعلم بحاجات الأرض ومقتضياتها لنزول الفضل الإلهي، وهو أعرف لما تتطلب صفاته عز وجل. إنه العليم بما أودع في الملائكة من القوى: ظاهرة يبدونها، وباطنة لا يمكن لهم إظهارها. ومن الخطأ أن يتصور أحد أن الملائكة حاولت إخفاء شيء عن الله تعالى، وإنما يُراد بالكتمان هنا: العجزُ والقصور الفطري، إذ أنهم لا يملكون الإرادة والحرية التي يتمتع بها الإنسان.. ولكنهم يظهرون ما زُوِّدوا به من صفات، ويكتمون ما ليس بوسعهم من صفات.

[وإذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبٰى واستكبر وكان من الكٰفرين * ٣٥ *].

شرح الكلمات:

اسجدوا: سجد: خضع وذل؛ انحنى. وسجد البعير: خفض رأسه. وسجدت السفينة للرياح: أطاعتها ومالت بميلها. يقال: فلان ساجد المنخر: ذليلٌ؛ خاضع(الأقرب). وقوله تعالى [اسجدوا لآدم]: قيل:أُمروا بالتذلل له والقيام بمصالحه ومصالح أولاده؛ أو معناه اسجدوا لأجل خلق آدم. وقوله [ادخلوا الباب سجّدًا]: أي متذللين منقادين. (المفردات).

لآدم: اللام تأتي صلةً لسَجَدَ تقويةً لمعنى السجود وتعديته، كقوله [اسجدوا لله]؛ كما تأتي لمجرد الصلة وتؤدي معنى من معانيها المستقلة وهي العلة والسببية.. كما قال امرؤ القيس: «ويوم عقرتُ للعذارى مطيتي». فيكون معنى [اسجدوا لآدم]: أي اسجدوا لله بسبب خلافة آدم.

إلا: حرف استثناء، أي إخراج ما بعده من حكم ما قبله. والاستثناء في اللغة على ضربين: استثناء متصل، وهو أن يكون المستثنى منه والمُستثنى من جنس واحد كقولهم: جاءني القوم إلا زيدا، فزيد واحد من جنس القوم؛ واستثناء منقطع، إذا لم يكن المستثنى من جنس المستثنى منه كقولهم: ما جاءني إلا حمار.

إبليس: أَبلَسَ: قَلَّ خيرُه؛ يئِسَ من رحمة الله؛ انكسر وحزن. أبلس في عمله: تحير؛ سكت غمًّا. أبلس غيرَه: جعله يائسا. فإبليس هو ذلك الذي قلَّ جانبُ الخير فيه، وتحير وارتبك، ويئس من رحمة الله، ولا يزال مغمومًا.(الأقرب)

أبى : أباه إباء: لم يرضه (الأقرب). الإباء: شدة الامتناع(المفردات). أباه: كرهه. الإباء: الامتناع عن الشي والكراهية له لبغضه وعدم ملائمته (التاج).

استكبر: كان ذا كبرياء. استكبر الشيءَ: رآه كبيرًا وعظم عنده(الأقرب). الكبر: الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. والاستكبار يقال على وجهين: (١) أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرًا، (٢) أن يتشبَّع فيظهر من نفسه ما ليس له (المفردات).

كان: من الأفعال الناقصة، ويدل عموما على حدوث الفعل في الماضي. ويكون بمعنى «صار» أيضا. فمعنى [كان من الكافرين] كان من قبل كافرا؛ صار من الكافرين.

التفسير:

من المحقق أن السجود بمعنى العبادة لغير الله تعالى يناقض تعاليم القرآن الكريم، وأن الملائكة لا يسجدون لغير الله تعالى أبدا. ولذا فإن المراد من الأمر الإلهي [اسجدوا لآدم] لا يعني سجود التعبد لآدم، وإنما يعني: اسجدوا لله بسبب استخلافه لآدم، لأن الله تعالى قد أسس لكم هذا النظام الرائع. فكأن الله عز وجل حينما أثبت للملائكة بالدليل العملي أن خلافة آدم لها حكمتها السامية، إذ أُنيطَ بها الظهور الكامل لصفات الله تعالى، عندئذ أمر الله الملائكة أن يسجدوا له عز وجل سجودَ حمد على هذه النعمة.. وذلك كما نرى أن عباد الله الشاكرين يخرون سجدًا حينما تتراءى لهم مظاهر قدرة الله تعالى وجبروته.

ونظرا إلى هذا المعنى ينبغي على المؤمن أن يخر ساجدا للّه كلما نزل عليه فضل الله، لأن ذلك أدعى إلى زيادة نزول أفضاله جل وعلا.. ولكن مع الأسف إن كثيرا من الناس بدلا من أن يشكروا، يأخذهم الاستكبار عندما يحظون بنعم الله، ويحسبون ازدهار أعمالهم من آثار نبوغهم وبراعتهم.

والسجود هو الطاعة أيضا، فقوله [اسجدوا لآدم] يعني أطيعوه وانقادوا له.. أي القيام بمصالحه ومصالح أولاده. ومن ناحية هذا المعنى يكون المراد من الأمر بالسجود أن الله عز وجل بعد أن شرف آدم بالخلافة، أمر الملائكة بطاعته، وقال إن آدم اليوم هو مظهر مرضاتنا في الدنيا، فعليكم أن تساعدوه في مهمته وتعاونوه على إنجاز ما كُلف به، ويجب أن تسخروا له من هذا النظام الكوني ما هو تحت إدارتكم، والذي أنتم حلقة من حلقاته. [فسَجَدوا] أي فاندفعوا نحو تأييد آدم والعمل على تحقيق عزائمه.

وقوله تعالى [إلا إبليس] استثناء منقطع، و[إلا] لا ترادف (سوى) وإنما تعني (لكن).. أي لكن إبليس أبى. وهنا يمكن أن يتساءل أحد: إذا كان إبليس من غير الملائكة فلماذا ذُكر معهم حينما أمروا بالسجود والطاعة؟ وإذا لم يكن مأمورا ومكلفا فلماذا طلب منه السُّجود؟

والجواب عن ذلك أن الملائكة هم مدبرو أمرِ هذا الكونِ طبقا لقول الله تعالى: [فالمدبرات أمرا*] (سورة النازعات: ٧). فهم العلة الأولى لإدارة نظامه، ولذلك يكون الأمر الصادر إليهم عاما يشمل جميع من يليهم من الأفراد. ولقد جاء في الحديث النبوي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريلَ عليه السلام: إن الله أحب فلانا فأحِبَّه، فيحبه جبريل. ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القَبول في الأرض» (صحيح البخاري). وهذا الحديث يُبين تسلسل الأمر الإلهي حتى يصل إلى الناس فيما يتعلق بالأمور التي تخص البشر. فأمر الله تعالى للناس يبدأ بالملائكة.. فإذا ما صدر لهؤلاء فقد شمل السلسلة كلها حتى البشر.

وقوله تعالى: [أبى واستكبر وكان من الكافرين] بيان لموقف إبليس من السجود لآدم؛ لقد أبى إبليس لأنه لم ير هذا النظام ملائما لنفسه. إنه نظام ناقص في تقديره.. فمن مقتضيات الإباء الامتناع عما يحط من شأن الأبي. إن الناس يرون الحقائق بمنظار أهوائهم ومصالحهم الشخصية، ولا يرونها في ضوء المصالح العامة، فإذا وجدوا فيها إضرارا بمصالحهم العاجلة.. نسوا عاقبتهم وأعرضوا عن مصالح عامة الدنيا، واجتهدوا وشمروا لمعاداة الحق.

والاستكبار دافع ثانٍ لإنكار الحق ورفضه. ولقد عبر إبليس عن هذا الاستكبار بقوله: [أنا خير منه، خلقتني من نار وخلقته من طين*] (سورة الأعراف: ١٣). فزها بكونه ناري الطبع، وأن آدم طيني الطبائع إذ يتشكل في كل القوالب كالعبيد. وهكذا فإن اتباع الحق الذي يورث الإنسان خُلق التواضع هو في نظر أعداء الحق معرة ومنقصة.. إنه عندهم ينافي المصالح الوطنية والمِلّية.. ويرون أهل التواضع خَوَنَة لبلادهم. وهم يتباهون بشراستهم وطبائعهم الشريرة، ويحسبون أنهم بعاداتهم العدوانية قادرون على تشييد مجدهم. إنهم ينخدعون بما يحصلون عليه من إثارة الشر والفتن.. ولكن ذلك كله لا يحقق المصالح الثابتة الدائمة.

والسبب الثالث للإباء أن يرى المرء ما يُعرَض عليه كبيرا ومستحيلا، وقد عبَّر عن هذا الأمر في قوله تعالى على لسان الكفار: [وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملٰئكة أو نري ربنا. لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا*] (سورة الفرقان: ٢٢)، فهم يحسبون لقاء الله تعالى أمرا مستحيلا فأبوا أن يصدِّقوه.

والسبب الرابع للإباء أن يعتاد المرء إنكار الحقائق، ويدل على

ذلك وصف الله له في قوله : [وكان من الكافرين]. واليوم أيضا نجد أن المنكرين للحقائق يتعرضون لمثل هذه الأوضاع. وليت الناس حاولوا إدراك تلك الحقائق متخلين عن هذه العيوب الأربعة، فعرفوا أن الله تعالى قد فتح لهم في هذه الأيام أبوابا واسعة للتقدم والرقي، وأتاح لانتصار الإسلام وسائل عديدة، ولكن قلَّ منهم من يجرؤ على ملاقاة التضحيات وجها لوجه لكي يحظوا فيما بعد بالحياة الخالدة لهم وللإسلام. ولكنهم يبذلون كل جهد لتحقيق المصالح العاجلة وإن كانت مؤقتة زائلة.. ليت قلوبهم انشرحت وتطهرت من الصدأ!

يرى البعض أن انخداع آدم بكلام إبليس أمر غير معقول.. فقد حذره الله تعالى منه صراحة، وقال له عز وجل : [فقلنا يآدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يُخرجنّكما من الجنة فتَشقَىٰ*] (سورة طٰه: ١١٨)، ولكن القرآن يعلن براءة آدم عليه السلام من هذا الظن فيقول: [فنَسِيَ ولم نجد له عزما*] (سورة طٰه: ١١٦).

ويمكن تفسير هذا التعارض الظاهري باعتبار الشيطان الذي خدع آدم غير إبليس الذي حذر الله تعالى آدم منه، ولكن آدم انخدع، ولم يعرف أن الشيطان أيضا من أعوان إبليس وأظلاله، فلم يأخذ الحذر منه، فوقع في الخطأ. وهذا ما يؤكده القرآن، فإنه كلما ذكر الكائن الذي امتنع عن السجود سمّاه (إبليس)، وهو الذي حذر الله آدم منه، ولكنه كلما ذكر الذي وسوس لآدم وأخرجه من الجنة سماه (الشيطان).

فالقرآن يقرر أن المُخرج هو إبليس، والموسوس هو الشيطان. فإبليس هو الكائن المخالف للملائكة والمحرض على الشر، والشيطان اسم عام يطلق على جميع القوى الشريرة.. يمكن أن يطلق على إبليس نفسه، أو على غيره ممن يتبعه، أو ينوب عنه في إغواء الناس وتوجيههم إلى المنكرات، وإغرائهم على مقاومة رسالة الأنبياء. والشيطان على عكس إبليس يطلق أيضا على الأرواح الخبيثة كما يطلق على بني البشر؛ غير أن استعماله في المعنى الأول أكثر من استعماله في وصف الإنسان.. كما جاء في وصف المنافقين حيث قال تعالى : [وإذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم] (سورة البقرة: ١٥)، والمراد بالشياطين هنا أئمة الكفر؛ وكقوله تعالى : [إنما ذلكم الشيطان يخوِّف أولياءَه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين*] (سورة آل عمران: ١٧٦)؛ أو كقوله تعالى : [وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا شياطينَ الإنسِ والجنِّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرفَ القول غُرورا] (سورة الأنعام: ١١٣).. فهؤلاء كلهم أهل الشر الذين يتزعمون المعارضة والتحريض عليه.

الملائكة وإبليس

ولقد تساءل البعض: هل خلق الله تعالى إبليس كي يضل الناس؟ هل يريد الله سبحانه أن يضلل عباده؟

الواقع أن الأمر على العكس من ذلك.. فالله عز وجل زود الإنسان بالقدرة على الخير والشر، وخلق معه الملائكة وإبليس وأظلالهم أيضا. الفريق الأول يرغِّب القلوب في الخيرات، والفريق الثاني يغريها على الشرور. فالذي يلبي دعوة الملائكة وأظلالهم يستحق الأجر، والذي ينقاد لتحريض إبليس وأوليائه يستحق العقاب. والكمال الإنساني يتطلب أن يكون الإنسان مخيرا بين هاتين الحركتين، لكي يحكم بنفسه ويختار الطريق الذي يقبله، فيستحق بذلك النعم العليا. ولولا تعرضه لمجال الشر لما أمكن أن يكون مستحقا لأعلى النعم وأمثلها.

أجل، لقد أوضح القرآن الكريم أيما إيضاح.. أنه ليس لإبليس ولا للشيطان أي تصرف في أمر أحد من الناس.. فهم مخيرون بين اتباعه ومخالفة تحريضه، كما يقول تعالى : [إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا مَن اتبعك مِن الغاوين*] (سورة الحجر: ٤٣).

وقصارى القول: إن القرآن الكريم بين لنا أن حركات إبليس لا تتأسس على دليل أو برهان، ولكنها تقوم على الوعد والوعيد بأمور مزخرفة كاذبة.. كما قال تعالى : [واسْتَفْزِزْ مَن استطعتَ منهم بصوتك، وأَجلِبْ عليهم بخَيلِك وَرَجِلِك، وشارِكْهُم في الأموال والأولادِ وعِدْهم. وما يَعِدُهم الشيطٰن إلا غُرورًا*] (سورة الإسراء: ٦٥). ولذلك فلا يمكن القول بأن الله قد عمل على أن يضل عباده بخلق إبليس، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. إنما كان يصح ذلك لو أنه عز وعلا قد أعطى للشيطان سلطانا من عنده، لكن الأدلة كلها تؤيد الملائكة دون إبليس، فمن يتبع إبليس إنما يتبعه باختياره، وهو مسئول بنفسه عما يفعل.

إن الله عز وجل في قوله [إلا إبليس] جعل إبليس تابعا للملائكة، الأمر الذي يدل على أن الخير غالب، والشر مغلوب، وعلى أن الملائكة هم المدبرون لنظام هذا الكون، وهم منابع الخير؛ وإبليس ما هو إلا الانحراف عن طريق الخير. وقد صرح القرآن الكريم مرارا بأن الإنسان مفطور على الخير، فقال: [ونفسٍ وما سوَّاها* فألْهَمَها فجورَها وتقواها* قد أفلَحَ مَن زكّاها* وقد خاب مَن دسّاها*] (سورة الشمس: ٨ إلى ١١). ومعنى ذلك بلفظ آخر.. أن الإنسان مفطور على الاستعداد لقبول توجيه الملائكة، وعندما يولد يكون بريئا من تدخل الشيطان، لكن بعدئذ يقتني هو بنفسه آثار الشيطان فيهلك. وقد وضح ذلك الحديثُ النبوي: «كل مولود يُولد على الفطرة، فأبَوَاه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه» (البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين).

جوامع الكلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، مَن أكرمُ الناس؟ قال: «أتقاهم». فقالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فيوسف نبيُّ الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «فعن معَادِن العرب تسألُونّى؟ خِيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقُهُوا» (فقُهوا: أي علموا أحكام الشرع.) (متفق عليه)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الدنيا حُلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظُر كيف تعملون. فاتَّقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء». (مُسلم).

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم، إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى» (مسلم)

عن أبي طريف عدى بن حاتم الطائى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حَلَفَ على يمين ثم رأى أتقى لله منها، فليأتِ التقوى». (مسلم)

عن أبي أمامَة صُدَىِّ بن عجلان الباهلى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطُب في حجة الوداع، فقال: «اتقوا الله، وصلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعُوا أمراءَكم، تدخلوا جنة ربِّكم». (الترمذى)

كلام الإمام

(حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام)

(١)

«إن فردوسنا إلهُنا.. وإن أعظم ملذاتنا في ربنا، لأننا رأيناه ووجدنا فيه الحسن كله. هذا الكنز جدير بالاقتناء ولو افتدى الإنسان به حياته، وهذه الجوهرة حَرِيَّة بالشراء ولو ضحى الإنسان في طلبها كلَّ وجوده. أيها المحرومون.. هلموا سراعا إلى هذا الينبوع ليروي عطشكم. إنه ينبوع الحياة الذي ينقذكم. ماذا أفعل، وكيف أُقرُّ هذه البشارة في القلوب؟ بأي دفٍّ أنادي في الأسواق.. بأن هذا هو إلٰهكم.. حتى يسمع الناس؟ وبأي دواء أعالج حتى تتفتح للسمع آذان الناس؟

إن كنتم لله فتيقنوا أن الله لكم».

(الخزائن الروحانية، ج ١٩، سفينة نوح ص٢١ و٢٢).

(٢)

«يا من يملكون السمع.. أنصتوا! ماذا يريد الله منكم؟ يريد فقط أن تكونوا له وحده.. لاتشركوا به أحدا.. لا في السماء.. ولا في الأرض. إن إلهنا هو ذلك الإله الذي هو حيٌ الآن كما كان حياً من قبل.. ويتكلم الآن أيضا كما كان يتكلم من قبل، ويسمع الآن أيضا كما كان يسمع من قبل. إنه لظَن باطل القولُ بأنه يسمع في زمننا هذا.. ولكنه لم يعد يتكلم. بل إنه يسمع ويتكلم أيضا. إن صفاته كلها أزلية أبدية.. لم تتعطل منها أية صفة قط، ولن تتعطل منها أية صفة أبدا. إنه ذلك الأحد الذي لا شريك له، ولا ولد له، ولا صاحبة له. إنه ذلك الذي لا مثيل له ولا كفوَ له... والذي ليس له ندٌّ في صفاته.. والذي لا تعُوزه قوة من القوى. إنه قريب مع بعده.. وبعيد مع قربه.. إنه فوق الجميع.. ولكن لا يمكن القول بأن أحدا تحته. إنه على العرش، ولكن لا يمكن القول بأنه ليس على الأرض. هو مجمع الصفات الكاملة كلها، ومظهر المحامد الحقة كلها، ومنبع المحاسن كلها، وجامع للقوى كلها، ومبدأ للفيوض كلها، ومرجع للأشياء كلها، ومالك لكل ملك، ومتصف بكل كمالٍ، ومنزه عن كل عيب وضعف، ومخصوص بأن يعبده وحده أهل الأرض والسماء».

(الخزائن الروحانية، ج ٢٠، الوصية ص ٣٠٩، ٣١٠).

(٣)

«ذلك النور الإلهي الذي وُهب لإنسان.. أعني الإنسان الكامل، لم يكن ذلك النور لا في الملائكة.. ولا في النجوم.. ولا في القمر.. ولا في الشمس؛ ولم يكن في بحار الأرض.. ولا في أنهارها؛ ولم يكن في اللَّعْل.. ولا في الياقوت.. ولا في الزمرّد.. ولا في الماس.. ولا في اللؤلؤ.. بالاختصار.. لم يكن ذلك النور في أي شيءٍ من الأرض أو السماء، وإنما كان في إنسان كامل.. ذلك الإنسان الذي كان أتمَّ وأكمل وأعلى وأرفع فرد من بني الإنسان.. سيدنا ومولانا سيد الأنبياء.. سيد الأحياء.. محمد المصطفى ﷺ..

(الخزائن الروحانية، ج٥، مرآة كمالات الإسلام ص ١٦٠، ١٦١)

(٤)

«إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي.. محمد عليه ألف ألف صلاة وسلام. ما أرفع شأنه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تقدر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. إنه أحبَّ الله غاية الحب، وذابت نفسه تماما شفقة على خلق الله، لذلك فإن الله العالمَ بسريرته فضَّله على كل الأنبياء، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد».

(الخزائن الروحانية، ج ٢٢، حقيقة الوحي، ص ١١٨ إلى ١١٩).

(٥)

«إن ذلك الحادث العجيب الذي جرى في برية العرب.. حيث بُعث مئات الأُلوف من الموتى في أيام معدودات.. وتحلَّى بالصـ الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مر الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبُكْم بالمعارف الإلهية ينطقون.. وحدث انقلاب في العالم لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط.. هل تعرفون كيف حدث ذلك؟ إن تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة.. عبدٌ متفان في الله.. هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي الضعيف الحيلة.

اللهم صلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وآله.. بعدد همّه وغمّه وحزنه لهذه الأمة، وأَنزِلْ عليه أنوارَ رحمتك إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ٦، بركات الدعاء ص ١٠ و ١١).

محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) مصدِّق التوراة والإنجيل ؟!

بقلم: مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله تعالى عنه

قال الله تعالى في القرآن الكريم: [وآمنوا بما أنزلتُ مصدِّقا لما معكم ولا تكونوا أول كافرٍ به...] (البقرة: ٤٢).

وقوله تعالى: [مصدقا لما معكم] يعني آمنوا بما أنزلت من الكلام الذى يصدِّق ما عندكم.. أي أن هذا الكلام يحقق نبأ موسى الوارد في سفر التثنية (١٨ : ١٨)، وكذلك أبناء الأنبياء الآخرين من بني إسرائيل. فالتصديق بهذا الكلام ومن نزل عليه يكون تصديقا لأسفاركم السابقة وعملاً بها؛ وتكذيبه يعتبر تكذيبا ورفضًا لها. فكأن الذى يؤمن بما يقدمه لهم محمد رسول الله ﷺ من وحي قرآني.. يؤمن بموسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل لأنهم الذين أنبأوا بمجيئه، ومن رفض الكلام المنزل على محمد فكأنما رفض موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل لأنه يرفض تحقق كلامهم.. فلن يستحق النعمة المترتبة على التصديق والإيمان لهم.

ولغير المسلم أن يسأل: هل أنبأ موسى ومن بعده من الأنبياء فعلًا بمجيء نبي حققه بعث محمد ﷺ؟ والجواب على ذلك أن كل أمة من الدنيا قد أُخبرت بمجيء نبي آخر الزمان، مع بيان بعض علاماته التى تحققت في شخص محمد رسول الله ﷺ، وخاصة أنباء أنبياء بني إسرائيل التى تواترت بكثرة بحيث يمكن للإنسان أن يصنف كتابا ضخمًا عنها. ولما كانت هذه الآية لم تتناول ذكر أنباء جميع الأنبياء والأمم لذلك لن ألتفت إليها، وإنما أكتفي بذكر أنباء بني إسرائيل ذكرا موجزا في ضوء قوله تعالى: [مصدقا لما معكم].

التصديق الأول

القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ يمثلان تصديقا لإبراهيم الذى أنبأ بازدهار بني إسماعيل. فلو لم يبعث محمد رسول الله ﷺ ولم يأت بما نزل عليه من الوحي القرآني لعُدَّ إبراهيم كاذبا. قال إبراهيم: إن الله تعالى سمع لدعائه في إسماعيل وقال له: «وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أباركه وأُثمره وأكثِّره كثيرا جدا. إثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة» (تكوين ١٧: ٢٠).

يتبين من هذا النبأ بأنه كما كان هناك وعد في بني إسحاق بأن الله تعالى سوف يكثرهم ويباركهم ويجعلهم أمة كبيرة.. كذلك كان نفس الوعد في حق بني إسماعيل. وإذا قالت التوراة الحالية، بأن عهد الكثرة والبركة هذا سيتحقق عن طريق بني إسحاق فحسب.. فذلك لأن القلم كان في يدهم فيقولون كما يشتهون، وإلا فإن كل ما قيل في إسحاق قيل بعينه في إسماعيل؛ فلا معنى أبدا لتخصيص إسحاق بهذا.

وبحسب ما جاء في التوراة فقد نزل كلام الله على السيدة هاجر أيضا، وكان فيه نبأ عن إسماعيل يقول: «وقال لها ملاك الرب: تكثيرا أكثِّر نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وإنه يكون إنسانا وحشيا. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن» (تكوين ١٦: ١٠، ١٢). ومع أن هذا الوحي قد نزل على السيدة هاجر إلا أنه وُضع في سفر من كتاب موسى.. مما يشهد ويؤكد أنه وحي من الله. لذلك صار حجة على بني إسرائيل، بمثل ما صار نبأ إبراهيم حجة عليهم. وهذا الوحي يتضمن الأمور التالية:

١. أن نسل إسماعيل سيكثرون كنسل إسحاق كثرة تفوق العدَّ والإحصاءَ.

٢. أنهم يحرزون مجدا عظيما بحيث يحسدهم كل العالم.

٣. أنهم برغم معاداة العالم لهم لن تلين قناتهم أمامهم؛ بل يعيشون عيشة العز والشرف.

عندما جاء رسولنا محمد ﷺ أعلن أنه سيحرز مجدا تحسده عليه العالم، وخاصة بنو إسحاق، وأن الله تعالى سوف يكتب له الغلبة على الدنيا كلها. وكأنه بهذا الإعلان أكد أنه مصدق لأبناء إبراهيم وهاجر. ولو لم يحدث ذلك ما تحقق نبأ إبراهيم ولا نبأ هاجر المتعلقان بنسل إسماعيل. ولكن ببعثته ﷺ تحقق النبأ وصار القرآن مصدقا للتوراة أي محققا لأنبائها.

وأما ما ورد في التوراة عن أن سيدنا إسحاق هوالذى سيحقق الوعد الإبراهيمي، فقد سبق الجواب عليه بأن التوراة لم تكن مصونة من عبث المحرفين. وكان بنو إسحاق يعادون بني إسماعيل عداوة شديدة، وكان الكتاب في أيديهم أيام عصر الجهل لزمن طويل، والله تعالى أعلم كم أدخلوا فيه من التحريف. وبدون الذهاب بعيدا فإن نسخ التوراة المكتوبة في زمن النبي عزرا، وهو عصر التأريخ، تختلف بعضها عن بعض اختلافا كبيرا. فهناك اختلافات بين نسخ اليهود ونسخ السامريين ونسخ النصارى. وعلى الرغم من أنهم متفقون في الأساس، ولكن بينهم اختلاف كبير. فإذا كان هذا هو الحال في عصر التدوين والتأريخ، فالله أعلم بما ارتكبه اليهود من التحريف في كتبهم قبل هذا العصر.

ولو أغمضنا النظر عن هذا العبث والتحريف، فإني مع ذلك أقول بأنه نظرا إلى ما يوجد إلى اليوم من أنباء في شأن إسماعيل يحق لنا القول بأن ما ورد في التوراة: «ولكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذى تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية» (تكوين ١٧: ٢١).. إن دل على شيء فإنما يدل فقط على أن بداية تحقيق هذا الوعد تكون بنسل إسحاق. وهذا هو ما حدث فعلا، إذ لم يزل هذا الوعد يتحقق لمدة طويلة عن طريق بني إسحاق، ثم نقله الله تعالى إلى بني إسماعيل.

أما السؤال عن سبب تحقيق الوعد ببني إسحاق أولا مع أنه الأخ الأصغر لإسماعيل.. فجوابه أنه كان مقدرا لنسل إسماعيل أن ينالوا النبوة التى لن تنسخ أبدا. فلو تحقق هذا الوعد عن طريقهم أولا لحُرم بنو إسحاق من هذه النعمة تماما. وهكذا أعطى الله تعالى لبني إسحاق نعمة النبوة لمدة ثم بعث في بني إسماعيل نبيا كان خاتم النبيين الذى لن تنسخ شريعته أية شريعة أخرى.. بل تبقى إلى يوم القيامة.

ومما يدل دلالة قطعية على أن بني إسماعيل كانوا شركاء في العهد الذى أُوتِيَه إبراهيم في أولاده هو أنه كما كانت العلامة الظاهرية للعهد من جانب الناس هي الختان كذلك كانت العلامة الظاهرية عليه من لدن الله تعالى هي إعطاء أرض كنعان.. فقد ورد: «وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدهم في أجيالهم عهدا أبديًا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرضَ غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا، وأكون إلههم. وقال الله لإبراهيم: وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم. هذا هو عهدي الذى تحفظون بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك.. يُختَن منكم كل ذكر فتختنون في لحم غرلتك، فيكون علامةَ عهد بيني وبينكم» (تكوين ١٧: ٧ إلى ١١).

يتضح من هذا أن هذا العهد الإلهي كان له شقان ماديان: شق يتعلق بالله بأن يعطي ملك كنعان لنسل إبراهيم؛ وشق يتعلق بنسل إبراهيم وهو أن يختتنوا. ووفى الله عهده وأعطاهم أرض كنعان. ثم جاء زمنٌ أَخَذَ الله فيه أرضَ كنعان من اليهود وأعطاه للنصارى، ولما كان عيسى بن مريم نبيًا إسرائيليا ما زال العهد قائما بحاله، وبقيت أرض كنعان في قبضة نسل إبراهيم. ولكن بداية من وفاة النبي محمد ﷺ مباشرة وحتى سنة ١٩١٨م بقيت هذه الأرض تحت حكم المسلمين. فإذا كان بنو إسماعيل غير مشاركين في الوعد الإبراهيمي، ومع ذلك بقيت هذه الأرض في ملكهم لثلاثة عشر قرنا تقريبا.. أفلا يجرنا هذا إلى القول بأن نبأ إبراهيم كان باطلا تماما؟ ولكن قول الله تعالى لا يمكن أن يكون باطلا أبدا.. فثبت أن بني إسماعيل كانوا شركاء بني إسحاق على قدم المساواة في العهد الإبراهيمي.

ويجدر أن نتذكر بأنه إذا كانت الشهادة الواقعية الإلهية تثبت أن بني إسماعيل كانوا شركاء في العهد الإبراهيمي ولذلك بقيت كنعان تحت حكمهم تحقيقا لهذا الوعد الإلهي، فلا بد من التسليم أيضا بأن الجانب الروحاني للعهد أي إعطاء النبوة من لدن الله تعالى واختتان القلب من قبل العبد، لا بد أن يتحقق في حق بني إسماعيل. وقد تم هذا فيهم في شخص الرسول محمد ﷺ. وإلا فقدِّموا لنا شخصا واحدا من بني إسماعيل تحقق فيه هذا الوعد حسب النبأ.

التصديق الثاني

كان هذا التصديق لنبأ موسى عليه السلام الوارد في التوراة يقول: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلَك. وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمي أنا أطالبه. وأما آن النبي الذى يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أُوصِه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى سيموت ذلك النبي» (تثنية ١٨: ١٨ إلى ٢٠)

يتضمن هذا النبأ الأمور التالية:

١. أنه سيقام نبيٌ من بني إسماعيل، إخوة بني إسرائيل.

٢. سيكون هذا النبي مثيلا لموسى، أي صاحب شريعة، وتكون أحواله مشابهة لأحوال مثيله.

٣. سوف يجري كلام الله تعالى على لسانه، أي أن وحيه كله سيكون بكلمات إلهية، فلن يتلو أحكام الله تعالى بكلماته من عنده.

٤. سوف يبلّغ الناس كل لفظ من كلام الله غير متهيب ولا وَجِلٍ.

٥. أنه يتلو ما نزل عليه من وحي إلهي باسم الله تعالى. وسيكون هذا النبي حربًا على الشرك.

٦. سوف يتعرض مكذبوه لعذاب الله تعالى.

٧. إذا ادعى أحد بالباطل أنه مصداق هذا النبأ الموسوي فإن الله تعالى مهلكه. وتحقيقا لكل هذه الأمور الواردة في النبأ كان محمد رسول الله ﷺ متصفا بما يلي:

١. ظهر من بني إسماعيل إخوةِ بني إسحاق.

٢. أعلن أنه مثيل لموسى كما قال الله تعالى: [إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا *] (سورة المزمل: ١٦). فكان ﷺ مثلَ موسى صاحبَ شريعة، وكانت أحواله مشابهة إلى حد كبير بأحواله. مثلاً وعد مثل موسى بظهور المجددين في أمته ظهورا متواترا. وكما كان عيسى بن مريم آخر خلفاء موسى عليهما السلام كذلك وعد النبي ﷺ بظهور خليفة له على نفس الفترة الزمنية، وسماه مسيحا. وقد ظهر هذا المسيح الموعود فعلا في شخص مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية وبعد نفس الفاصل الزمني.

٣. أعلن أن كلام الله تعالى يجري على لسانه، أي أن كلمات وحيه التي يتلوها على الناس هي عينها الكلمات التي تتنزل على قلبه وحياً من الله تعالى. إقرأوا كتب كل الأنبياء السابقين تجدوا فيها كلام الله أقل من كلام البشر. وربما لا تجدون في الأناجيل كلها أكثر من جملتين من خالص كلام الله تعالى، أما الباقي فكله كلام المسيح وقصص كتّاب الأناجيل. والقرآن المجيد هو الكتاب الوحيد الذى لا تشوبه كلمة واحدة من كلام البشر، بل هو كلام الله تعالى من أوله إلى آخره.

فالمراد من عبارة «ألقي كلامي في فمه».. أن كلام الوحي الذى كان ينزل على الأنبياء السابقين لم يكن كله وحيًا لفظيا، وإنما كان ينزل أكثره على قلوبهم معنًى أو كانوا يرون كشوفًا فيعبرون عنها بألفاظ من عندهم، ولكن هذا النبأ يذكر خصوصية للرسول ﷺ.. فهو لن يبيّن مراد الله تعالى بكلمات من عنده، وإنما يبلغ مراد الله تعالى بكلمات توحى منه عز وجل. كان الوحي الإلهي ينزل على قلب الأنبياء السابقين، فإذا وصل إلى لسانهم خرج بألفاظهم، أما الوحي القرآني النازل على قلب محمد رسول الله ﷺ فقد خرج من فمه كما نزل بلفظه ومعناه. وإلى ذلك تشير الآية القرآنية: [وما ينطق عن الهوى * إنْ هو إلا وحي يوحَى *] (النجم: ٤ و٥)، أي أنه لا يقدم مشيئة الله تعالى في قالب ألفاظ من عنده، ولكن ينطق بوحي الله تعالى في قالب كلمات محددة أنزلها على قلبه ﷺ.

٤. أنه بلغ وحي الله تعالى غير هياب ولا وَجِلٍ، وأبلغ الناس كل حرف منه، والقرآن نفسه خير شاهد على هذه الحقيقة. لقد واجه ﷺ معارضة شديدة، وأغراه الكفار بكل طريق ليحذف أو يخفف من الوحي القرآني ما يعيب به آلهتهم، ولكنه لم يبال بهم مطلقا، وبلغهم كلام الله تعالى كله، وفي صورته الأصلية. وقد ذكر القرآن الكريم هذا الأمر في قوله: [فلعلك تاركٌ بعضَ ما يوحَى إليك وضائقٌ به صدرك أن يقولوا لولا أُنزِلَ عليه كنز أو جاء معه مَلَكٌ. إنما أنت نذير، والله على كل شيءٍ وكيل *] (هود: ١٣). أي يطمع مخالفوك لعله ينزل بك ضيق من ظلمهم فتترك شيئا مما أوحينا به إليك، أو ربما يضيق صدرك باعتراضهم عليك أنه لم ينزل معه كنز أو مَلَكٌ من السماء يؤيده فتترك شيئا من هذا الوحي.. ولكن هذا لن يحدث لأنك نذير، وكيف يخاف النذير ممن أخبره الله بهلاكهم.. والله تعالى وكيل على كل شيءٍ، فكيف يخرج أحد من نطاق حكمه وسلطانه.

ولقد شهد النبي نفسُه على هذا الأمر، وجعل الناس يشهدون معه أنه أبلغهم كل كلام الله تعالى. ففي حجة الوداع، عندما نزل عليه قول الله تعالى: [أليوم أكملت لكم دينكم] (المائدة: ٤).. قام بين الحجيج وذكّرهم بواجباتهم، ثم قال: أللهم هل بلّغتُ؟ أي أيها الناس أستحلفكم بالله أن تشهدوا: هل أبلغت العالم كل ما أوحاه الله لي حق البلاغ؟ فقال الصحابة بلسان واحد: أللهم، نعم! فقال ﷺ: أللهم فاشهَدْ! (السيرة النبوية لابن هشام).

كما يمكن أن يكون المراد من هذا النبأ أن النبي الموعود كان من المقدر أن يكون خاتم النبيين، فاقتضى ذلك أن يبلغ الوحي الديني المنزل عليه للناس بكامله لكي لا يبقى شيءٌ من الدين ناقصا. أما الأنبياء السابقون فلم يكن حالهم هكذا.. فقد كانت تكشف عليهم أسرار من الدين، ولم يكن مسموحا لهم بكشف بعضها للناس لأن عقلية الناس في عصرهم لم تكن قادرة على استيعابها، وإن كان عقل النبي من الرقي بحيث يدركها. فنبأ التوراة بأن النبي الموعود يبلغ الناس بكل ما يوحى إليه يعني أن العقل البشري في زمنه يكون قد اكتمل ونضج، ومِن ثم يُعطَى آخر الشرائع وأكملها.. التى تشمل كل الأسرار الروحانية، وسيؤمر بتعليمها كلها لأمته.. لأنهم أهل لتعلمها وإدراكها.

ونجد إشارة لهذا المعنى في الإنجيل حيث ورد قول المسيح بن مريم عليه السلام: «إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به..» (يوحنا ١٦: ١٢ و١٣). تبين هذه العبارة أن المسيح لم يبلغ الناس بكل ما أوحي إليه لأن فيه ما كان خاصا به، ولم تكن أمته قادرة على فهمه، ولكنه أخبرهم بأنه سيأتي بعده «روح الحق» فيخبر الناس بكل شيءٍ لأن الناس في وقته سيكونون قادرين على استيعابه. وكأن روح الحق هذا يكون على مقام «خاتم النبيين».

٥. وتحقق النبأ الوارد في عبارة «كلامي الذى يتكلم باسمي» أن كل سورة من القرآن الكريم تبدأ بآية [بسم الله الرحمان الرحيم].

٦. وأما النبأ الخاص بهلاك منكريه فقد تحقق للنبي محمد ﷺ تحققًا اعترف به المخالفون أيضا.. ومع أنهم يعزون هلاك أعدائه إلى أسباب دنيوية، ولكن الحق أن قولهم هذا خلاف للعقل والواقع.

٧. أما النبأ بأن الله مهلك كل من يدعي كاذبا أنه مصداق لهذا النبأ فقد تحقق هذا أروع تحقق. فبالرغم من أن محمدًا رسول الله ﷺ كان وحيدا، ولم يأل أعداؤه جهدا للقضاء عليه إلا أنه خرج فائزا في كل موطن، ولم يصبه أحد بضرر. ولا يمكن أن يكون هذا كله محض الصدفة، وإنما أخبر الله تعالى رسوله بذلك من قبل وأمره أن يعلن على العالم: [والله يعصمك من الناس] (المائدة: ٦٨). وعصمته من المكائد والمؤامرات بصورة غير عادية لآية كانت وحدها سببًا لاهتداء كثير من أعدائه. فمن أحداث التاريخ الشهيرة أن هند زوجة أبي سفيان عندما جاءت ضمن النساء للبيعة على الإسلام يوم فتح مكة، وكن يبايعن الرسول ﷺ على ألا يشركن بالله، فلم تملك هند نفسها من شدة الحماس وقالت: أبعد هذا كله نشرك بالله، وقد رأينا بأم أعيننا أنك كنت وحيدا وكنا نحن عصبة قوية، بذلنا كل ما في وسعنا للقضاء عليك فلم نفلح في ذلك؛ لو كان في الأصنام قوة لقدرنا عليك، ولكننا هلكنا وخرجتَ فائزا.

فانظروا، إذا لم يظهر نبي كمثل موسى من بني إسماعيل بشريعة، وإذا لم يجعل الله كلامه في فمه، وإذا لم يبلغ الناس كلام الله، ولم يبلغهم جميع كلامه عز وجل، وإذا لم يهلك أعداؤه، وإذا لم يفز رغم قوة الأعداء وشدة معارضتهم.. فكيف كان من الممكن تحقق نبأ موسى، وكيف يتبين صدقه؟ فالوحي النازل على رسول الله ﷺ برَّأ موسى عليه السلام من الكذب، وصَدَّقَه.

التصديق الثالث

هناك نبأ آخر لموسى : «فقال: جاء الرب من سِيناءَ، وأشرف لهم من سعيرَ، وتلألأ من جبل فارانَ، وأتى من ربوات القدس *وعن يمينه نار شريعة لهم» (تثنية ٣٣: ٢).

يذكر هذا النبأ ثلاث آيات سماوية، والآية الأولى تخص التجلي الإلهي في سيناء، وهو إشارة إلى ظهور موسى عليه السلام، والثانية تخص التجلي الإلهي من سعير، وهو خبر بظهور عيسى بن مريم عليه السلام من منطقة سعير، والثالثة تخص التجلي الإلهي من منطقة جبال فاران. وقد ذكر هذا التجلي الثالث بتفصيل أكثر من السابقين.. مما يدل على أن ذكر هذا التجلي هو المقصود الحقيقي هنا. فأولا يكون مقام هذا التجلي هو فاران.. وثانيا أنه يأتي بصحبة عشرة آلاف عن القدوسيين.. وثالثا أن هذا الذى سيكون مظهرا للتجلي الإلهي سيكون في يمينه شريعة نارية. وهذه العلامات الثلاث بتمامها وكمالها متوفرة في شخص محمد رسول الله ﷺ. فعندما انتصر الرسول ﷺ على كفار مكة، بحسب أبناء قرآنية واضحة، ودخل مكة.. دخلها من جهة «فاران»، ووادى فاران هذا واقع بين مكة والمدينة. وعندما فتح مكة كان معه جيش من عشرة آلاف من أصحابه القدوسيين. كما أنه أتى الدنيا بشريعة نارية، تحرق بنار حب الله تعالى آثام الناس ومعاصيهم، وإنها لا تعد المؤمنين بنعم الله تعالى فقط، بل ينذر المفكرين والأشرار بعذاب النار.

فلو لم يظهر محمد رسول الله ﷺ، ولم يهاجر إلى المدينة المنورة، ولم ينصره ربه على أعدائه، ولم يمكنه من فتح مكة بصحبة عشرة آلاف من الصحابة القدوسيين، ولم تكن معه شريعة كاملة تبشر المؤمنين بالفلاح والازدهار، وتنذر أعداء الحق بعقاب النار.. فكيف يتحقق هذا النبأ من التوراة، وكيف يصدق وحي موسى! فكان الوحي النازل على رسول الله ﷺ محققًا لهذا النبأ ومصدقًا له.. طبقًا لقول الله تعالى: [مصدقا لما معكم].

التصديق الرابع

هناك إلهام لسليمان عليه السلام يقول: «حبيبي أبيض وأحمر. مُعْلَمٌ بين ربوة. رأسه ذَهبٌ إبريزٌ. قُصصُه مسترسلة حالكة كالغراب. عيناه كالحمام على مجاري المياه. مغسولتان باللبن، جالستان في وقْبيها. خدّاه كخميلة الطِّيب، وأتلام رياحين ذكية. شفتاه سوسن تقطران مُرًّا مائعا. يداه حلقتان من ذهب مرصّعتان بالزبرد. بطنه عاجٌ أبيض مغلف بالياقوت الأزرق. ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من إبريز. طلعته كلُبنان. فتى كالأرز. حلقه حلاوة. وكله مشتهيات. هذا حبيبي وهذا خليلي، يا بنات أورشليم» (نشيد الأنشاد٥: ١٠ إلى ١٦) *

في هذا النبأ أخبر سليمان عليه السلام عن لون النبي ﷺ أنه أحمر أبيض. وهذا ما يثبته التاريخ. ثم صور مشهداً لفتح مكة بأنه يرجع لبلده منتصرا في صحبة عشرة آلاف من الناس، هم

*(في النسخ القديمة للتوراة جاءت العبارة (ومعه عشرة آلاف من القدوسيين) ولكنهم حرفوها في الطبعات الحديثة إلى (وأتى من ربوات القدس).

*«مُعلم يعني مميزا بارزا أو قائدا» وربوة تعني عشرة آلاف، والمر طيب الرائحة مطهر مفيد، وحلقُه حلاوةٌ يعنى كل أقواله جميلة

صحابته القدوسيون الوارد ذكرهم في نبأ التثنية (٣٣ : ٢). وفي آخر النبأ ذكر اسمه ﷺ : محمد. ولإخفاء هذا الاسم من النبأ قام مترجمو التوراة في العصر الحديث بتحريف كلمة «محمديم» الواردة في النبأ واستبدلوا بها كلمة «مشتهيات». ولكن الكلمات الأصلية في العبرانية هي «محمديم»، وإضافة «يم» إلى كلمة «محمد» صيغة الاحترام في العبرانية.. مثلما يفعلون مع كلمة «ألوه» أي الرب فيكتبونها «ألوهيم». فمعنى محمديم أي «محمد الموقر». ونتيجة لهذا الاسم الوارد في النبأ كان الناس شرعوا يسمون أولادهم باسم «محمد» عندما رأوا علامات قرب ظهور الموعود. فكان في المدينة عدة أشخاص سماهم آباؤهم محمداً ومنهم محمد بن أحيحة الصحابي (أسد الغابة).

فلقد حقق الوحي النازل على محمد رسول الله ﷺ هذا النبأ أيضا، ولو لا ذلك لصار نبأ سليمان باطلا.

التصديق الخامس

ورد في التوراة: «لمن يعلِّم معرفةً ولمن يُفهم تعليما. أللمفطومين عن اللبن، للمفصولين عن الثدي؟ لأنه أمرٌ على أمرٍ، أمر على أمر، فرضٌ على فرض، فرضٌ على فرض. هنا قليل، هناك قليل. إنه بشفة لكناء، وبلسان آخر يكلِّم هذا الشعب، الذين قال لهم: هذه الراحة؛ أريحوا الرَّازح، وهذا هو السكون. ولكن لم يشأوا أن يسمعوا. فكان لهم قول الرب أمراً على أمر، أمراً على أمر، فرضًا على فرض، فرضا على فرض. هنا قليلا، هناك قليلا.. لكي يذهبوا ويسقطوا إلى الوراء وينكسروا ويُصادوا فيُؤخذوا» (إشعيا ٢٨ : ٩ إلى ١٣).

يظهر من النبأ الأمور التالية:

أولا. أن كلام الله في زمن من الأزمان سوف ينزل لقوم حرموا من لبن الوحي، وفصلوا عن أمهم، أي من النبوة بعد أن كانت فيهم. وقد ظهر محمد رسول الله ﷺ في زمن كانت النبوة منقطعة لزمن طويل، وخاطب أيضا بني إسرائيل المحرومين من لبن الوحي المفصولين عن ثدي النبوة. قال القرآن الكريم: [يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترةٍ من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير. فقد جاءكم بشير ونذير. والله على كل شيءٍ قدير] (المائدة: ٢٠). فقوله [على فترة من الرسل] يشير إلى ما جاء في النبأ: «للمفطومين عن اللبن، للمفصولين عن الثدي».

ثانيا: الكلام الذي سوف ينزل لتلك الأمة لن ينزل دفعة واحدة، ولا في بلد واحد؛ بل يكون تنزُّله أمرا على أمر، وفرضا على فرض، هنا قليلا، وهناك قليلا. وهكذا بالضبط نزل القرآن المجيد شيئا فشيئا.. بعضه في مكة وبعضه في المدينة وبعضه في الأسفار، حتى اعترض الكفار وقالوا: [لو لا نُزِّل عليه القرآن جُملةً واحدة] (سورة الفرقان: ٣٣). ولا يزال نقاد النصارى يكررون نفس الاعتراض رغم وجود هذا النبأ في كتابهم سفر إشعياء، وبالتالي يقدمون بأقلامهم دليلا على أن محمّدًا رسول الله ﷺ كان مصداقا لهذا النبأ.

ثالثا: هذا الوحي سوف يتلى عليهم بلسان شخص عربي، وبلغة أجنبية أي عربية؛ ذلك لأنه وردت في بعض الترجمات، كالأردية مثلا، عبارة «بشفة وحشي» بدلا من «شفةٍ لكناء». وكلمة وحشية تدل على العرب كما سبق أن ذكرنا أن الله تعالى عندما بشر السيدة هاجر بمولد إسماعيل (عليهما السلام) قال لها: «وإنه يكون إنسانا وحشيا» (تكوين: ١٦ : ١٢). وقد اختار كُتاب التوراة هذه التسمية بسبب كراهيتهم لبني إسماعيل، وإلا فهي تعني عندهم إنسانا عربيا. ومادة (ع ر ب) في اللغة العربية تعني البيان، والعرب يسمَّوْن عربًا لأنهم كانوا يعيشون في الخيام، وكانوا مولعين بالأدب، ويتكلمون كلاما بليغا فصيحا، وكان أعداؤهم يسمون أهل الخيام والبداوة «وحشيين».. وقد اختارت التوراة نفس الطريق، فكلما ذكرت إسماعيل سمته «وحشيا». وعندما جاء ذكر النبي المبعوث في أولاده وصفته بأنه سيتكلم بشفاه وحشيٍ.. بدلا من القول بأنه من أولاد إسماعيل. والقرآن لسانه عربيٍ وهو أمر معروف لا حاجة لذكره، ولكن إشارة لنبأ إشعياء هذا يقول الله تعالى: [ومن قبله كتابُ موسى إمامًا ورحمة. وهذا كتابٌ مصدقٌ لسانًا عربيًا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين*] (الأحقاف: ١٣). لقد ذكرت هذه الآية القرآنية أن كون القرآن بلسان عربي تصديق للتوراة.. أي لنبأ سفر التثنية (١٦ : ١٢)، ولنبأ التثنية (١٨ : ١٨).. حيث جاء أن وحي الشريعة لن ينزل في المستقبل على أحد من بني إسحاق، بل ينزل على إخوتهم بني إسماعيل. وكذلك تشير هذه الآية ضمنًا إلى نبأ ةِ إشعياء الذى نحن بصدده، ونبأه هذا مزيد من التوضيح لنبأ موسى.

رابعا: سيقول ذلك النبي الموعود لليهود أن دار إقامته هي دار أمن وراحة وسكون.. فأريحوا المتعبين المجهدين تجدوا الراحة والسكون.. ولكنهم لن يسمعوا لقوله ولن يدَعوا ذلك المكان مكان أمن وسكينة، بل سوف يؤذون المجهدين المعتبين. وهذا أيضا يصدق على الرسول محمد ﷺ فإنه أعلن عن المدينة المنورة حيث كان اليهود أيضا يعيشون معه، أنها دار أمن وحرمة مثل مكة المكرمة، كما عقد معاهدة اتفق فيها مع اليهود لإقرار الأمن فيها (السيرة الحلبية). ولكنهم لم يدعوا المُتعبين أي المهاجرين الذين تركوا أوطانهم وممتلكاتهم في مكة وجاءوا من سفر بعيد شاق ينعمون بالراحة هناك. وكانت النتيجة أن اليهود أنفسهم لم يجدوا الراحة فيها أيضا.

خامسا: في النبأ أنه سينزل عليهم أمر على أمر لكي يذهبوا ويسقطوا إلى الوراء وينكسرو ويُصطادوا فيؤخذوا.. وقد تحقق في الرسول ﷺ تماما. فإن اليهود عندما دأبوا على حرمان المتعبين (المهاجرين) من الراحة كانت النتيجة أنهم هم أنفسهم راحوا وذهبوا.. أي أُجْلِي بعضهم من المدينة وقُتل بعضهم وهُزموا وأُلقوا السلاح أمام الرسول ﷺ وصِيدوا وقُيدوا، وأُخذ بعضهم عبيدا. ألا ما أشد هذا النبأ وضوحا وتحققا ببعث النبي محمد ﷺ ! ولو لم يبعث نبينا محمد رسول الله ﷺ ولم ينزل عليه هذا الكتاب العربي المبين.. لم يتيسر تصديق نبأ إشعياء النبي وعُدَّ من الكاذبين.

التصديق السادس

قال النبي إشعياء: «يقول السيد الرب: هأنذا أؤسس في صهيون حجَرَ امتحانٍ حجرَ زاويةٍ كريما أساسا مؤسسا. من آمن لا يهرب» (إشعياء ٢٨: ١٦).

وقال النبي داود: «الحجر الذى رفضه البنَّاءون قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا» (مزامير ١١٨: ٢٢ و٢٣). وقال أيضا: «مباركٌ الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب» (مزامير ١١٨: ٢٦).

وكذلك هناك إلهام في هذا الشأن للنبي دانيال يفيد أن الملك الفارسي نبوخذ نصر رأى حلمًا ولكنه نسيه. فذكر ذلك للمنجمين، ولكنهم اعتذروا عن قدرتهم على تعبير حلم منسي، فأمر الملك بقتلهم. وكان النبي دانيال من أسرى السبي الذين أتى بهم الملك من أورشليم إلى بلده. فلما سمع بذلك ابتهل إلى الله تعالى ليخبره بحلم الملك وتعبيره، ففعل. ثم استأذن الملكَ ليدله على الحلم وتعبيره وقال له:

«أنت أيها الملك،كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم. هذا التمثال العظيم البهيّ جدًا وَقَفَ قُبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد. صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخذاه من نحاس. ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قُطِعَ حجرٌ بغير يَدَيْنِ. فضرب التمثالَ على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معًا، وصارت كعصافة البيدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلا كبير وملأ الأرض كلها. هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قُدّام الملك.

أنت أيها الملك، ملك ملوك، لأن إله السماوات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا. وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دَفَعَها لِيَدِك وسلَّطك عليها جميعها. فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس،فتتسلَّط على كل الأرض، وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء. وكالحديد الذى يكسِّر تسحق وتكسِّر كل هؤلاء. وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد.. فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنك رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين. وأصابع القديمن بعضها من حديد والبعض من خزف.. فبعض المملكة يكون قويا والبعض قَصِمًا. وبما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك كما أن الحديد لا يختلط بالخزف. وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدًا ومَلِكُها لا يُتْرك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كلَّ هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد. لأنك رأيت قد قُطع حجرٌ من جبل لا بِيَدَين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرَّف الملكَ ما سيأتي بعد هذا. الحلم حقٌّ وتعبيره يقين». (دانيال٢: ٣١ إلى ٤٥).

يتبين من أنباء هؤلاء النبيين الثلاثة أنه كان من المقدر ظهور مَلِك روحاني يكون بمثابة حجر الزاوية أي يكون حلقة أخيرة من السلسلة الروحانية، وسيكون ذلك الحجر ثمينًا جدا وقويا، من آمن به كان وَقورًا جَلِدًا صَبورًا. وهو حجر رفضه البناءون، ولسوف يسحق الملوكَ الشداد.. حجرٌ لم تنحته يدُ إنسانٍ.

وقد ذكر المسيح بن مريم هذا النبأ فقال: «اسمعوا مثلا آخر. كان إنسان رب بيت غَرَسَ كَرْمًا، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة، وبنى برجًا، وسلمه إلى كرّامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرّامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرّامون عبيده، وجلدوا بعضا، وقتلوا بعضا، ورجموا بعضا. ثم أرسل عبيدا آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا: يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: ها هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ما يفعل بأولئك الكرامين؟ قالوا له: أولئك الأردياء يُهلكهم هلاكا رديًّا ويسلم الكرمَ إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم في الكتب: الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزَع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره. ومن يسقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه»(متى ٢١: ٣٣ الى ٤٤).

في هذه العبارة ضرب المسيح عليه السلام مثلا وبين أن بني إسرائيل قد رفضوا أنبياء كثيرين. فأرسل الله تعالى نبيا سُمي ابن الله، أي المسيح نفسه، ولكن بني إسرائيل يرفضونه أيضا، ويقتلونه، أي يحاولون قتله. فيرسل الله نبيا يعد ظهورا وتجليا لله تعالى.. ويكون حجر الزاوية، وعند مجيئه يُعاقَب بنو إسرائيل عقابا تاما ويُسلَّم ملكوت الله لقوم يعطون لله تعالى أثماره في وقتها.. أي يؤدون واجبات الله حق الأداء. ويكون ذلك الحجر من العظمة والشأن بحيث يسحق كل من يصطدم به، ويهلك كل من يقع عليه.

هذه الأنباء من أربعة أنبياء: داود، إشعيا، دانيال، والمسيح.. تصدق كلها على الرسول محمد ﷺ بوضوح وجلاء تامين.. بحيث لا ينكرها إلا من أعماه التعصب. كان ﷺ من بني إسماعيل، الذين رفضهم بنوا إسحاق باستمرار، وحاولوا حرمانهم من البركات الإبراهيمية دائما. وقد أعلن النبي ﷺ بنفسه أنه حجر الزاوية فيقول: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله. فجعل الناس يطوفون به ويقولون: ما رأينا بنيانا أحسن من هذا إلا هذه اللبنة. فكنت أنا تلك اللبنة». (مسلم، كتاب الفضائل). كان وجوده ﷺ بالغ القيمة، وكان أساسه متينا. وكما أكدت الأحداث لم يزعزعه أحد من مكانه رغم معارضة شديدة امتدت ثلاث عشرة سنة. ولم يكن صحابته متعجلين قليلي الصبر كحواريي المسيح، بل كانوا ذوي وقار وثبات. إن حواريي المسيح تبرأوا منه وتخلوا عنه هاربين عندما ألقى جنود الرومان القبض عليه. (متى ٢٦: ٥٦، ٧٠، ٧٢، ٨٤)، ولكن صحابة الرسول ﷺ قالوا له في أحلك الظروف: يا رسول الله، سوف نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ولن يخلُص إليك العدو إلا على جثثنا. وقد ذكر القرآن الكريم شأنهم هذا فقال: [وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هَوْنا.. وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما *] (الفرقان: ٦٤). إن عباد الله المؤمنين بمحمد رسول الله ﷺ يمشون على الأرض بكل سكينة، ولا يتصرفون في أمورهم باستعجال. وعندما يتعرضون لسب من الجهال لا يردون السب بالسب غيظا وغضبا، بل يقولون لهم إنما نريد لكم السلام.

وكذلك وصفهم القرآن: [وإذا مروا باللغو مروا كِراما *] (الفرقان: ٧٣).. أي أنهم إذا مروا بأماكن اللهو واللعب لا يشتركون فيه ميلا إلى الملذات الدنيوية كما فعلت أمة المسيح بأن نست ذكر الله تعالى واشتغلت بالرقص والغناء والموسيقى. ولكن صحابة محمد ﷺ يملكون نفوسهم ويمرون معرضين عن المتع الدنيوية الفارغة إلى ما ينفعهم في أخراهم التي لا تنقطع ثمارها.

وجاء في وصف حجر الزاوية هذا أن مجيئه يكون بمثابة قدوم الله تعالى، وأنه سيأتي باسم الله. وقد زاد المسيح عليه السلام هذا الأمر وضوحا عندما قال إن هذا القادم باسم الله سوف يجيء بعد من يُسمى ابن الله. فجاء محمد رسول الله ﷺ بعد المسيح، وكان قدومه بمثابة قدوم الله تعالى. وقد ذكر القرآن عن الرسول ﷺ: [إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله. يد الله فوق أيديهم] (سورة الفتح: ١١).

وجملة «متى جاء صاحب الكرْم» وهي تعني أن قدومه بمثابة قدوم الله تعالى، إشارة إلى أنه سيكون مثيلا لموسى، لأنه ورد في حق موسى عليه السلام أنه كان الرب، حيث جاء: «فقال الرب لموسى انْظُر: أنا جعلتك إلها لفرعون» (خروج: ٧: ١). فتمثيل قدوم هذا النبي الموعود بقدوم الله تعالى يعني أنه يأتي مثيلا لموسى. وبذلك أشار أيضا إلى نبأ موسى الوارد في سفر التثنية (١٨: ١٨).

ثم ذكر النبأ أن هذا الحجر يسحق من يسقط عليه، ومن سقط عليه يترضض.. وهذا ما حدث مع الرسول ﷺ.. فرغم فقره وضعفه الشديدين حاربه قومه فانتصر عليهم. وقد صوّر المسيح الناصري غزوات الرسول ﷺ أروع تصوير فقال: «من سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه.. أي أنه يهاجمه أعداؤه أولا فتلحقهم من جراء ذلك أضرار فادحة؛ ثم إذا كرّ هو عليهم قضى عليهم. وهذا ما حدث بالفعل، فلم يزل أعداؤه يهاجمون ويتضررون وينكسرون، ولما هاجمهم بدوره كسر شوكتهم تماما.

وقد أخبر النبي دانيال أن حروبه لن تكون ضد قومه فقط، بل سوف يشتبك مع حكومات قوية، وسيقضي عليها بيده. وبحسب هذا النبأ كانت حربه مع قيصر الروم الذى قضى المسلمون على إمبراطوريته.

وقد أشار النبي دانيال إلى دين هذه الإمبراطورية فقال: «وبما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين فإنهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف» (دانيال ٢: ٤٣). وفي هذا إشارة إلى أن أهل تلك الإمبراطورية يحاولون الانتساب إلى دين لا حق لهم في الدخول فيه. فعبارة «يختلطون بنسل الناس» لا تعني أنهم ليسوا أناسًا كسائر الناس، وإنما المعنى أنهم سيحاولون إلحاق أنفسهم بابن الانسان.. أي المسيح عيسى، ولكن دعواهم هذه باطلة لأن ابن الإنسان هذا لم يأت إلا «لخراف بني إسرائيل» فقط، ولا إذن هناك للأقوام الأخرى بالدخول في دينه. يقول المسيح نفسه: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة». (متى ١٥: ٢٤). وعندما بعث الحواريين مبشرين أمرهم

بقوله : «إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا». (١٠ : ٥). فالرومان الذين ادعوا بكونهم من أهل المسيحية مثلهم كمثل الذى ينسب نفسه إلى نسل لا حق له في الانتساب إليه.

وأما ما قلته بأن المراد من «نسل الناس» أو بعبارة أخرى «ابن الإنسان» هو المسيح فدليله أن هذا الاسم يتردد كثيرا في صفحات الإنجيل.. منها على سبيل المثال : «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجيءُ ابن الإنسان» (متى ٢٤ : ٢٧)

ثم إن وصف هذا الحجر أنه «قُطع من جبل ولم تقطعه أو تنحته يد إنسان» يشير إلى أن هذا النبي الموعود سيكون أميا لم يتعلم على يد بشر. وكان الرسول ﷺ أميًا بالفعل. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النبأ في قوله : [الذين يتبعون الرسولَ النبيَّ الأميَّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوارة والإنجيل] (الأعراف : ١٥٨).

تعلن هذه الآية أن التوراة والإنجيل وصفا محمدا رسول الله بثلاثة أسماء : رسول، نبي، أمي. وكما ذكرنا فإن التوراة تصفه بأنه حجر لم تنحته يد إنسان، وقد صدق الإنجيل هذا النبأ. وكأنه أخبر بذلك أن النبي ﷺ يكون أميا غير متعلم على يد بشر.

ولقد حاول البعض لجهلهم تطبيق هذا النبأ على المسيح بن مريم، ولكنهم لا يدركون أن المسيح لم يكن أميا غير متعلم، بل كان له معلمون من البشر.. فقد ورد : «حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه» (متى ٣ : ١٣). وجاء أيضا : «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء» (متى ٣ : ١٦). وهذا يدل على أن المسيح احتاج للتتلمذ على يد النبي يحي لينال تعليما روحانيا. فلا يمكن والحال هذه أن يسمى أميا. ثم إنه لن يوصف بكونه «من سقط عليه يترضض، ومن يسقط هو عليه يسحقه»، بل بالعكس سقط عليه الناس وآذوه إيذاء شديدا ، ولم تيسر له السقوط على الآخرين.

والآن، لو لم تتحقق هذه الأنباء بوجود النبي ﷺ لعد كل من داود وإشعياء ودانيال والمسيح عليهم السلام من الكاذبين. فالقرآن الكريم صدق كلام هؤلاء الأنبياء جميعا بتحقق تلك الأنباء.

التصديق السابع

جاء في الإنجيل؛ «فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفَرَج من وجه الرب، ويرسل يسوعَ المسيحَ المبشر به لكم قبل..الذى ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيءٍ التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر، فإن موسى قال للآباء : إن نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم..له تسمعون في كل ما يكلمكم به..ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب. وجميع الأنبياء أيضا من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام. أنتم أبناءُ الأنبياء والعهد الذى عاهد به الله آباءنا قائلا لإبراهيم : وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض.. إليكم أولا إذ أقام الله فتاه يسوع أرسله يبارككم بردِّ كل واحد منكم عن شروره» (أعمال ٣ : ١٩ إلى ٢٦).

ورد هذا النبأ في سفر أعمال الرسل، ولكن لا بد أن يكون المسيح نفسه قد تنبأ به، لأن الحواريين كانوا ينقلون أقواله. ومن عقيدة النصارى أنه كل ما قاله الحواريون قالوه تحت تأثير روحي للمسيح، لأجل ذلك أعطوا لأعمال وأقوال الحواريين مكانا في كتبهم المقدسة، واعتبروها أسفارا من الكتاب المقدس. وعلاوة على ذلك فإن المسيح قد أخبر بهذا النبأ بكلمات أخرى ذكرناها في «التصديق السادس» آنفا. ومن ثم فبوسعنا الجزم بأن هذا النبأ الوارد في سفر الأعمال هو من أقوال المسيح نفسه. ولقد ورد في هذا النبأ ما يلي من أمور:

١. لن ينزل المسيح مرة أخرى إلى الدنيا ما لم يتحقق ما أنبأ به موسى بأن الله تعالى سوف يبعث نبيا مثله من إخوة بني إسرائيل.

٢. لقد أنبأ بمجيءِ هذا الموعود أيضا كل الأنبياء من بعد موسى بدءًا من النبي صموئيل.

٣. كان مجيءُ المسيح بمثابة بشارة بمجيءِ ذلك النبي الموعود.. لأنه قال : لقد أرسل الله فتاه يسوع أولا ليرد كل واحد منهم عن شروره. ولقد أثبتُّ فيما سبق أن النبي المثيل لموسى، أو بتعبير الإنجيل «ذلك النبي»، كان نبينا محمد ﷺ. فهذا النبأ الذى يقول ببقاء المسيح في السماء إلى «أزمنة ردِّ كل شيءٍ» أي إلى أن تتحقق كل الأنباء، وخاصة نبأ ظهور مثيل لموسى عليه السلام.. فيه بشارة ببعث نبينا محمد ﷺ. كما ذُكر فيه أن البعث الأول للمسيح الناصري كان تمهيدا لمجيءِ ذلك النبي الموعود، ولكي يطهر قلوب الناس من الشرور، ويزيل عنهم ما غلب على قلوب اليهود من جفاء وتحجر.. فيتمكنوا من الإيمان به عند مبعثه. وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله : [لَتَجِدَنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهودَ والذين أشركوا، ولتجدنَّ أقربَهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى. ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أُنزِلَ إلى الرسول ترى أعينَهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق. يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين *] (المائدة : ٨٣ و٨٤). فالقرآن أيضا يصدق بأن المسيح جاء قبل النبي محمد ﷺ بحسب هذا النبأ، وطهّر قلوب الكثيرين من

الشر، وباركهم حتى صاروا أهلاً لتصديق النبي المثيل لموسى.

فجاء نبينا محمد ﷺ تحقيقا لهذا النبأ، وهكذا صار مصدِّقا للمسيح والأنبياء الآخرين منذ صموئيل. ولو لم يأت لعُدَّ جميعهم من الكاذبين.

وكثيرٌ الأنباءُ التى تحققت في شخص الرسول ﷺ وكان مصدِّقا لكلام كثير من الأنبياء السابقين، ولكنني أكتفي بهذا القدر من الأمثلة هنا، التى يدرك بها كل منصف خالٍ من التعصب مدى صدق القرآن الكريم في قوله لنبي إسرائيل: [آمنوا بما أنزلت مصدقًا لما معكم]. لقد حقق القرآن أنباء كتب بني إسرائيل، فمن أنكره منهم وكفر به.. فإنما يكفر بكتبه التى أنبأت بنزوله.

لقد أساء بعض كتَّاب النصارى فهم هذه الآية، فظنوا أنها إعلان من القرآن بأنه يصدق كل ما جاء في كتبهم. وبناء على هذا الفهم الخاطئ يعترضون قائلين بأنه ما دام كتابهم المقدس صحيحا بحسب اعتراف القرآن.. فقد ثبت بذلك بطلان القرآن، لأن مضامينه تخالف الكتاب المقدس.

لا أفهم أبدا هذه العقلية القائلة بأن زيدًا يصدِّق بكرًا.. فلا بد وأن يكون زيدٌ على باطل! أهكذا يكون جزاء الإحسان؟! وكما ذكرت من قبل، فإن هذه الآية لا تعني أبدا ما حاول القساوسة استنتاجه منها. لقد انخدعوا بكلمة [مصدّقا] مع أن التصديق له مدلولان: الأول نسبة الصدق إلى القائل، والثاني: تحقيق نبأ سابق.. أي أن يكون مطابقا ومصداقا لما قيل. والمعنى الثاني هو المراد ها هنا. يقول القرآن المجيد في موضع آخر: [وإذ أخذ الله ميثاقَ النبيين لَمَا آتيتُكم من كتاب وحكمةٍ ثم جاءكم رسول مصدِّقٌ لما معكم لتؤمُنُنَّ به ولتنصُرُنَّه. قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري. قالوا أقررنا. قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون *] (آل عمران: ٨٢، ٨٣). ويتبين من هذا أن القرآن يقول إن جميع الأنبياء أُخبروا بمجيءِ نبي يصدِّق وحيهم جميعا.. ويكون الإيمان به ضروريا لكل الأمم. ونقرأ في القرآن أنه يقول عن الأنبياء: [وإنْ من أمة إلا خلا فيها نذير *] (فاطر: ٢٥). ويقول أيضا: [والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه. إن الله بعباده لخبير بصير *] (فاطر: ٣٢). إذا قرنَّا هاتين الآيتين مع الآية السابقة وصلنا إلى نتيجة أن الأنبياء بعثوا في كل قطر وفي كل شعب؛ وأن النبي الموعود في الآية الأولى يكون مصدِّقا لكتاب كل نبي، ولا بد لأمة كل نبي من الإيمان به. وبعبارة أخرى إن تصديق القرآن الكريم للتوراة والإنجيل هو كتصديقه للكتب الأخرى مثل «الفيد» و«الزندأفستا» وسائر كتب الأنبياء حيثما بعثوا في أقطار الأرض. ولكننا نرى أن كل هذه الكتب في شكلها الحالي تختلف أشد الاختلاف فيما بينها. ولو قبلنا بصحتها وهي في شكلها الحالي، مع كونها يكذب بعضها بعضا.. لانهار صرح الدين وما بقى منه شيءٌ. ولو سميناها كتب الله بصورتها الحالية فكأننا بأنفسنا نكذب هؤلاء الأنبياء الذين تنسب إليهم هذه الكتب. وعلى سبيل المثال: هل يمكن القول بأن كل التوراة في شكلها الحالي هي الوحي الذى نزل على سيدنا موسى عليه السلام.. مع أنها تقول: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فَغورَ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم..... ويشوع بن نون كان قد امتلأ روحَ حكمةٍ إذ وضع موسى عليه يديه. فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الربُّ موسى. ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه». (تثنية ٣٤: ٥، ٦، ٩، ١٠)

يتضح من هذه الفقرات جليا أنها كتبت بعد وفاة سيدنا موسى عليه السلام بفترة طويلة، بل في وقت انمحى فيه أثر قبره وبعد مجيءِ كثير من الأنبياء، لأن العبارة تقول: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى». هل من عاقل يسلم بأن موسى عليه السلام عاد إلى الدنيا بعد وفاته بمئات السنين وأضاف هذه العبارة إلى كتابه؟ وإذا كان الأمر غير ذلك فالواقع أن يدًا أخرى أضافتها إلى كتاب موسى بعد قرون من وفاته. ومن يدرى ماذا أضيف غير ذلك؟ فأيّ هذه الفقرات يصدقها القرآن وأيّها لا يصدق؟ وكيف نعرف من هذا الكتاب المحرّف، والذي يعترف علماء الكتاب المقدس أنه أُلِّف بأيد كثيرة وفي أزمنة مختلفة، أي الكلام كلام الله حتى نصدقه، وأي الكلام كلام البشر حتى نرفضه؟

أما الإنجيل فقد ورد فيه أن المسيح قال للحواريين: «الحقَّ أقول لكم: إن من القِيام ها هنا قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته» (متى ١٦: ٢٨)، ولكن الواقع أن كلهم ماتوا، وماتت بعدهم أجيال وأجيال.. وإلى الآن لم ير أحد منهم ابن الإنسان آتيا في ملكوته بحسب اعتقادهم! ولو قيل إن المراد بمجيءِ المسيح ازدهار قومه.. فهذا تأويل خاطئ أيضا، لأن النصارى نالوا الازدهار والرقي بعد حادثة الصليب بثلاثة قرون، ولم يكن عندئذ أحد حياً ممن عاصر المسيح. فليخبرنا القساوسة المحترمون الذين يقولون بأن المراد بالتصديق هو صحة كتبهم.. كيف يمكن للقرآن أن يصدق هذه الأمور؟

يقول النصارى أن الأناجيل تتضمن بحسب اعتقادهم مسألة ألوهية المسيح والأقانيم الثلاثة، ولكن القرآن يقول: [لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثةٍ. وما من إله إلا إله واحد. وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسَّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم *] (المائدة: ٧٤). تبين هذه الآية، وكثير مثلها، أن القرآن لا يصدِّق أبدا ذلك الإنجيل الذى بين يدي النصارى اليوم؛ بل إن القرآن لا يصدق

مطلقا ذلك المفهوم الذى يقدمه النصارى للإنجيل بعد كل ما ذكرنا.. فماذا يغني النصارى هذا التأويل لمعنى التصديق.

الحق أن تصديق الناس يتم بطريقين: إما أن نقول للمرء أنك صادق فيما تقول أو نثبت صدق قولٍ قاله. وهذا يكون باللسان أو بالفعل.. فمثلا نقول باللسان: فلان صادق فيما يقول، وبالفعل كأن يقول زيد عن عمرو أنه سيسافر إلى بلد ما، فإذا سافر عمرو فإنه بفعله هذا صدَّق زيدا. ولكن تصديق الكتب السماوية يكون بثلاثة طرق:

١. القول بأن الكتاب كله حق،
٢. القول بأن بعض أجزائه حق،
٣. القول بأنه في أصل بدايته كان حقا.. أي أنه في البداية نزل من الله تعالى، ومن جاء به كان صادقا، ولكن الناس حرفوه فيما بعد.

لقد أثبتُ من قبل أن التصديق التام للكتب السابقة محالٌ، كما لا يليق بالقرآن أن يفعل هذا.. إنه محالٌ لأن الموجود منها اليوم قليل معدوم، ولا يليق بالقرآن تصديقها لأنه يبين أخطاءها فلا يمكن أن يصدقها تماما. فلم يبق إلا طريقان للتصديق: التصديق ببعض أجزائها، أو التصديق بحالتها الابتدائية. والقرآن يصدق الكتب الموجودة بهذين الطريقين: أي أولا يصدق بعض ما فيها من مسائل، ويثبت صدق بعض ما ورد فيها من أنباء بتحقيقها في وجوده؛ وثانيا: يعلن أن كل الكتب السماوية كانت صحيحة تماما عندما نزلت للعالم أول الأمر، فيعلن صدق الوحي الذى نزل على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وكرشنا ورام وزردشت وغيرهم من أنبياء الله تعالى الذين بعثوا بين وقت وآخر وفي أقطار مختلفة من الدنيا وإلى أقوام شتى.. سواء عرفنا أسماءهم أم لا.

يقول القرآن الكريم: [ولقد أرسلنا رسلا مِن قبلك منهم مَن قصصنا عليك ومنهم مَّن لم نقصص عليك. وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله. فإذا جاء أمرُ الله قُضي بالحق وخَسِرَ هنالك المبطلون*] (غافر: ٧٩).

وتبين هذه الآية أن الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم ليسوا وحدهم الأنبياء وإنما هناك أيضا أنبياء آخرون بعثهم الله.

ثم أثار القرآن سؤالا: كيف نعرف صدق من لم يرد اسمه فيه من الأنبياء؟ وقد بين علامة صدقهم بأنهم يأتون بالآيات، ولا يمكن لأحد أن يأتي بالآيات بدون إذن الله ومعونته تعالى، فمن أتى منهم بآية فهو نبي صادق يقينا.

ثم إن كثيرا من الآيات تتطلب شهود عيان وعلما تفصيليا للواقعات.. ولا علم لنا بالأحوال التفصيلية للكثير من الأنبياء المعتبرين عند بعض الأمم؛ فكيف نعرف صدقهم؟ أجاب القرآن على ذلك بأن هناك آية مشتركة بين جميع الأنبياء.. ولا بد أن أقوامهم قد شهدوها فعلا.. تلك هي هلاك مكذبي النبي وبقاء اسمه في الدنيا وغلبة أتباعه. فإذا رأيتم هذه الآية لأي مدعٍ للوحي فاستيقنوا أن الله تعالى معه وليس كاذبا.

ويتضح من هذه الآية أن القرآن لا يصدق الأنبياء المذكورين فيه فقط، وإنما يصدق أيضا من لم يذكر أسماءهم. وإذا كان مصدقًا لهؤلاء فهو مصدق لوحيهم أيضا. ولا يكون التصديق لهذا الوحي الغائب إلا أن نؤمن بصدقه إيمانا إجماليا، فيكون المعنى الآخر للتصديق هو الإيمان الإجمالي.. أي أن وحيهم كان من الله تعالى. وبمثل هذا التصديق نفسه يصدق القرآن الكريم كتب اليهود والنصارى. فمن الظلم الفادح أن يستنتج أحدٌ من قوله تعالى: [مصدقًا لما معكم] أن القرآن يعلن بذلك صحة كتبهم في صورتها الراهنة. هذا، وإن الآيات الأخرى من القرآن، والواقعات، والشهادات الداخلية لكتبهم تبطل هذا الزعم.

وهناك لطيفة أخرى جديرة بالذكر. فقوله تعالى: [مصدقا لما معكم] لا يذكر أنه مصدقٌ للتوراة والإنجيل، بل يقول [لما معكم]. والآن، لو فهمنا عبارة [لما معكم] بمعناها الواسع لكان مدلولها أن القرآن يصدِّق قصصهم وأساطيرهم أيضا، ولكن هذا باطل بالبداهة. فلا بد أن يقيد مدلولها بقيود معقولة، فمثلا نقول أولا، إنه مصدقٌ لما ورد في كتبهم عن مسألة معينة أي أن التعاليم التى يقدمها القرآن في مسألة ما هي نفس التعاليم الموجودة في كتبكم. فكأن التصديق صار خاصا غير مطلق. وبهذا المفهوم نفسه فسّرتُ قوله تعالى: [مصدّقا لما معكم]، وقلت إن القرآن الكريم يصدق الأنباء الواردة في كتبكم.. أي يحققها بوجوده.

ويكون المعنى الآخر [لما معكم] بأن القرآن يصدق «لما معكم من وحي الله الخالص». ولا يصح الاعتراض على هذا المعنى. فأي شك في أن مِن واجب كل وحي سماوي أن يصدق ما في الكتب السابقة من كلام إلهي خالص. ولكن هذا التصديق لا يعني أبدا أن كل ما في كتبهم هو بالضرورة وحي الله تعالى.

(مقتبس من التفسير الكبير، المجلد الأول).

قرأت لك

محنة يوسف

أبو المحسن عطاء

«كانت منة الله تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكمنا لمحنته، ومحنته مكمنا للمنة العظيمة عليه وعلى آله وعلى أهل مصر وجميع الأمم التى تقرب من مصر. كما قال ابن عطاء الله السكندرى، ربما كمنت المنن في المحن، وكانت تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط. فأشعل ذلك في نفسها جذوة الحب، وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها إلى أن غلبها الحب على حيائها. فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها لعاملَين يكفي كل واحد منهما لعزوفه عما تريد؛ أولهما إيمانه بالله وامتثاله أوامره بالتزام الطهارة من الأرجاس الخلقية.. تلك الطهارة التى وجد عليها أباه وجده وجد أبيه. ثانيهما أن بعلها سيده الذى حدب عليه، وأكرم مثواه، ومكن له في بيته، وجعله المتصرف في أمواله وخدمه، ووثق به ثقة ليس لها حد، فلا ينبغى أن يقابل نعمته بالكفران. فلو لم يكن له دين يحجزه عن الشر ويلزمه الطهارة لكان ذلك كافيا لحفظ سيده في أهله، والبعد عن تدنيس فراشه.

كان ذلك دأب يوسف معها إلى أن هاج بها هائج الغرام، واعتزمت على شفاء ما في نفسها من الصبابة. فصارحته القول، ودعته إلى نفسها دعوة لا هوادة معها. واحتاطت للأمر وأخذت عدتها له، وغلقت الأبواب، وقالت ليوسف: هَيْت لك. فأبى، وقال: إنه (أي بعلها) ربى أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون. وفي هذا الموقف العنيف.. شاب في ريعان شبابه وغضارة الفتوة تدعوه سيدته الجميلة إلى نفسها، فيغلبه دينه ويعصمه رعى الذمام لسيده. ثم يولى وجهه شطر الباب يطلب النجاة من شيطان غوايتها، وهي تجاذبه ثوبه وهو العصي حتى تمزق مِن خلفه، إلى أن يغلبها ويفلت من يدها. فيستقبقان الباب، هو يريد فتح مغلقه وهي تريد أن تحول بينه وبين ما يشتهى من الإفلات من يدها دون قضاء لبانتها. وحينئذ يجد أن بعلها عند الباب.

اقرءوا قوله تعالى: [وراوَدَتْه التى هو في بيتها عن نفسه وغلَّقتِ الأبوابَ وقالت: هَيْتَ لك. قال: معاذَ اللهِ، إنه ربي أَحْسَنَ مثواي. إنه لا يفلح الظالمون. ولقد همَّت به وهم بها لولا أنْ رأى برهان ربه. كذلك لنصرف عنه السوءَ والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين * واستبقا البابَ وقدَّتْ قميصَه من دُبُرٍ وألْفَيا سيدها لدى الباب].

وللعلماء في تفسير هذه الآية آراء. فقوم يقولون: أن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليضاجعها وهو هم بها، وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته، فلما لم يبق شيءٌ دون إتمام ما قصدته وقصده جاء جبريل وأخبره بأنه سيكون نبيا، وهذا العمل لا يليق من الأنبياء، فكف عنها. وهذا برهان ربه. ومعنى الآية: لولا أن رأى برهان ربه لفعل.

وقال آخرون: إن البرهان الذى رآه، وهو على هذه الحال، أن نظر فرأى وجه أبيه وهو يؤنبه على هذا العمل عاضًّا على أنامله.

وقال آخرون: إن يوسف وهو في تلكم الحال نُوديَ من الله: يا يوسف، إنك مكتوب في ديوان الأنبياء وتعمل عمل السفهاء.. إلى غير ذلك من الأقوال الباردة. والقائلون بذلك لم يفقهوا قول الله تعالى في تلك الآية: [كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء. إنه من عبادنا المخلصين]. فكيف يكون قد صرف عنه السوء وهو قد تهيأ لفعل الفاحشة وأصغى إلى شيطان الغواية، ولم يرجع، كما يقولون، إلا بعد أن رأى من الزواجر والروادع ما يكفى لصرف أعظم الفسقة والمستهترين عن الغي ومتابعة الشهوة؟ وكيف يوصف بأنه من المخلصين مَن كان انصرافه على هذا الوجه؟

وأغرقُ هذه الأوجه في البعد قولُ من يعتذر عن هم يوسف بأن ذلك كان قبل النبوة، أي فِعل المعصية في هذا الدور غير ممتنع على الأنبياء! فإن صاحب هذا القول غافل عن قوله تعالى: [ألله أعلم حيث يجعل رسالته]. فإن الرسالة إنما يُختار لها أصحاب الأعمال المرضية، ولا يختار الله رسله من أهل الفسق. وهو تعالى يرشحهم لما يضطلعون به من رسالته، فهو يعصمهم عن الخسائس وسائر ما يعير به الناس. وأي عار أكبر من أن يذهب الشخص إلى المعصية، ثم لا يرجع إلا بعد الزجر والنهى.

ويقول آخرون: أنه همَّ همَّ الطبيعة وهو أمر لا اختيار للمرء فيه. وهؤلاء أخف قولا مما تقدم.

ويقول آخرون: أنه هم هم ترك.ولست أطمئن إلى هذا القول،

وأنه وُجد منه همٌّ على حال.

وتكلف آخرون، فقالوا: أنه هم ليضربها.

والقول الذى لا غبار عليه ويلتئم مع قوله تعالى: [كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء]، ومع قوله في الآية نفسها: [إنه من عبادنا المخلصين].. أن همه عليه السلام بها امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه وبأخلاقهم الزكية الطاهرة.....

يوسف وامرأة العزيز

يوجد في الأمثال: ضربني وبكى وسبقني واشتكى. ذلكم المثل هو مثل امرأة العزيز مع يوسف. ذلك أنها لما رأت سيدها لدى الباب يريد الدخول وكان معه ابن عمها أرادت أن تشفى غل صدرها وحنقها على يوسف لما فاتها من التمتع به وتوقعه في الشر جزاء إبائه عن مطاوعتها.. تقدمت نحو زوجها باكية شاكية قائلة: [ما جزاءُ من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يُسجن أو عذاب أليم]. وأفهمته أنه راودها عن نفسها وأنها أبت عليه. وأما يوسف فقد وجد نفسه في مأزق حرج وأن الصدق سبيل نجاته، وأنه اللائق بمقابلة العزيز بما صنع معه من جميل وما أسدى إليه من المكرمة، فقال: هي راودتني عن نفسي وأنا امتنعتُ وأبيتُ حتى آل أمرها إلى أن نازعتني ثوبى. وهنا ظهرت فراسة ابن عمها في تحقيق الحق من قولها، فقال: [إن كان قميصُه قُدَّ من قُبلٍ فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قُدَّ من دُبر فكذبت وهو من الصادقين]. لأن الهاجم على المرأة وهي تدافعه إنما يظهر أثر دفاعها في مقدمة قميصه، والهارب من المرأة العالقة بثوبه إنما يظهر أثر ذلك من الخلف لأنه يكون مستدبرا لها وهي تجاذبه من خلف. فظهر حق يوسف وكذب امرأة العزيز بأن رأوا قميصه قد من دبره. فعاد الشاهد أو العزيز على امرأته باللوم وقال: إنه من كيدكن، إن كيدكن عظيم. وأَمَرَ يوسفَ بكتمان الخبر، وأمرها بالاستغفار لذنبها، وصرح بأنها مخطئة فيما صنعت.

إقرءوا قوله تعالى: [قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يُسجن أو عذابٌ أليم. قال: هي راودتني عن نفسي. وشهد شاهدٌ من أهلها إن كان قميصه قُدَّ مِن قبلٍ فصدقتْ وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدَّ مِن دُبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصَه قدَّ من دبر قال: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم. يوسف أعْرِضْ عن هذا واستغفري لذنبك إنكِ كنتِ من الخاطئين].

لطيفة

للإمام الفخر الرازى كلمة قديمة أوردها في تفسيره خلاصتها: إن يوسف قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله تعالى: [إنه من عبادنا المخلصين]. وشهد الشيطان ببراءته بقوله: «فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين]. وشهد ببراءته الشاهد من أهل امرأة العزيز إذ قال: إن كان قميصه قدَّ من قبل فصدقت وهو من ا لكاذبين. وإن كان قميصه قدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قد من دبر، قال: إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم، يوسف أَعْرِضْ عن هذا، واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين». وشهد ببراءته النسوة اللائى قطعن أيديهن بقولهن: «ما علمنا عليه من سوء». وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها: [الآن حصحص الحق، أنا راودتُه عن نفسه وإنه لمن الصادقين]. فالذى يريد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان، وكلاهما شهد ببراءة يوسف. فلا مفر له من الإقرار بالحق على أي حال، وهو براءة يوسف من الهم بها.

(قصص الأنبياء، للأستاذ عبد الوهاب النجار، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٣٥ ص ١٥٧ إلى ١٦١).

نظرات «أحمدية» بقية

المادي قد تطور تدريجيا، وكذلك تعلمنا منه أيضًا عملية التطور التدريجي للكون الروحي. لذا، فإن القوانين الكاملة لم تنزل مرة أخرى منذ بداية الكون، وإنما نزل الوحي شيئا فشيئا للإنسان بالانسجام مع مرحلة التطور التى وصل إليها. وأخيرًا وعندما وصل الإنسان إلى مرحلة يستطيع فيها تحمل مسؤولية القانون الكامل للشريعة أنزل الله تعالى القانون السماوي الكامل على أكمل البشر في شخص رسول الإسلام محمد ﷺ. إن القانون الكامل هو الإسلام، والكتاب الكامل هو القرآن، وإن تطور الكون الروحي قد تم بشخص الرسول ﷺ. فكما أن الإنسان هو محور الكون المادي، وأن الأنبياء كانوا محاور الأمم التى أُرسلوا إليها والعصور التى جاءوا فيها، فإن رسول الإسلام محمداً ﷺ هو المحور لجميع وكافة الجنس البشري.

إن مخطط الكون الذى وضعه لنا القرآن الكريم، هو أن الإنسان أول محور للكون، ومن خلال الدوائر المختلفة يدور الناس حول أنبيائهم المعنيين، ثم إن الأنبياء يدورون حول رسول الإسلام، وهو ﷺ يقود كل الكون إلى الله سبحانه وتعالى، وبهذا فإن الكون الروحي يؤول إلى الكمال.

سلسلة : كيف نتمتع بالصلاة

ترجم: الحاج محمد حلمي الشافعي

خلفية دعوات الأنبياء

خطبة الجمعة التي ألقاها حضرة إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية
حضرة مرزا طاهر أحمد، أيده الله بنصره العزيز
ألقاها يوم ١٠، ٥، ١٩٩١، بناصر باخ، بألمانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسم الله الرحمٰن الرحيم * الحمد لله رب العٰلمين * الرحمٰن الرحيم * مٰلك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين *].

كنا نتحدث عن الدعاء الذى علمّتناه سورة الفاتحة.. أي يا رب، اهدنا الطريق المستقيم الصحيح السوي.. طريق الذين تفضلتَ عليهم بنعمك، والذين يسيرون في صراط النعم المسافرين في طريق الله الذين دخلوا ضمن من أنعم الله عليهم.. لقد ذَكَرَهم القرآن الكريم في صور متنوعة.. وحفظ لنا أدعيتهم. ومن هذه الأدعية فاتنى في الترتيب دعاءٌ كان يجب ذكره قبل ذلك، ولذلك أبدأ موضوع اليوم بهذا الدعاء.

هذا الدعاء علّمه الله تعالى سيدنا محمدًا ﷺ وهو: [ربِّ، أَدْخِلْني مُدْخَلَ صدقٍ وأخرِجني مُخرجَ صدقٍ واجْعَلْ لي من لدنك سلطانا نصيرا *] (الإسراء: ٨١).. أي اللهم، أدخلني بالحق وأخرجني بالحق.. فيكون الدخول بخطوات صادقة مبنية على الصدق وكذلك يكون الخروج من هذه المرحلة بخطوات الصدق أيضا. وهَبْ لي، يا رب، الناصر ذا السلطة الغالبة.

نزلت هذه السورة قبل الهجرة. هناك خلاف في الرأي حول تحديد هذا الزمن، ولكن المستشرقين يرون أن نزولها كان قبل السنة ١٢ من البعثة، ويرى بعض المفسرين أنها نزلت قبل ذلك بكثير. فالسورة وهذه الآية كلتاهما مكية حيث نزلت قبل الهجرة. ومن ثم فإن هذا الدعاء يتضمن بنوءة عن الهجرة. ولكن موضوع الآية لا يتوقف عند حد الهجرة، بل هو ذو معنى أوسع بكثير كما سأبين.

عاش المصطفى ﷺ ١٣ عاما في مكة تحمل خلالها أنواع المعاناة، وهاجر في السنة الثالثة عشرة تقريبا إلى المدينة. أخبره هذا الدعاء بأنك يا محمد، ستغادر هذه البلدة حتمًا، وستدخلها مرة ثانية حتمًا. وسيكون خروجك بالحق، وستعود لتدخلها بالحق أيضا.

ولقد ورد هنا ترتيب حادثي الخروج والدخول بتغيير، فأمره الله تعالى أن يدعوه: اجعَلْ يا رب، مدخلي مدخل صدق ومخرجي مخرج صدق. لماذا ذكر الدخول أولا ثم الخروج؟ الحكمة في ذلك أن الله تعالى لم يرد ليتألّم المصطفى ﷺ ولو للحظة واحدة بفكرة أنه سيغادر مكة ولا يدرى أيرجع أم لا، لذلك جعل مسألة رجوعه مؤكدة بذكرها أولا. ولما كانت الآية نزلت قبل الرحيل، فقد أُخبر النبي بهذا الأسلوب أنه سيعود لمكة حتما، ولا حاجة به أن يقلق أو يحزن للخروج منها.

والحكمة الثانية من ذلك أن الأعداء كانوا يزعمون بأن الحال الذى اضطره إلى مغادرة مكة لم يكن حال صدق، ولم يخرجوه إلى المنفى وهو صادق، إذ كانوا يرمونه بنعت الكذاب والأفاك والمزور وكثير من الصفات التى تنسب إليه الكذب؛ ولكن المدينة التى رحبت به واستقبلته بالصدق وفتحت له ذراعيها شاهدةً على صدقه. ولذا كان معنى قوله: [رب أَدْخِلني مُدخل صدق].. يا محمد، إنك ستدخل الآن البلدة التى ستكون شهادة على صدقك ولسوف تقبلك بالصدق، ولسوف تغادرها بالصدق لتدخل هذه البلدة مكة بالصدق مرة أخرى.

ولما كان نبأ الدخول مذكورا أولا فإنه يشير إلى فتح مكة، ويكون معنى قوله: [أَدْخِلْني مدخل صدق].. أنك يا محمد، عندما تدخل هذه البلدة مرة ثانية فسوف تدخلها وكل ذرة منها، كل حجر فيها، كل هوائها وجوّها.. تشهد على أنك الرجل الصادق العائد إلى بلدته. ولما كان ذلك نبوءة فإن صدق المصطفى ﷺ كان سيتحقق ويتبين عند دخوله في مكة.

ويعنى قوله: [واجعَلْ لي من لدنك سلطانا نصيرا].. أعْطِني يا رب، من عندك أولئك الأنصار الذين تزودهم بالقوة والنصر، ويكون عونهم نافعا مجديا. لا يكونون يا رب، أنصارا ضعفاء بل غالبين متقدمين. ولقد قبل الله تعالى هذا الدعاء أتم قبول في صورة الأنصار من أهل المدينة الذين تمكنوا من نصرته بنجاح كامل. وكل

عون قدمه الأنصار.. وإن كان في الظاهر على يدهم.. إلا أن قوله [من لدنك] يخبرنا أن عونهم كان بإذن الله ومن الله، ولو لا ذلك ما كان لهذا العون من قيمة تذكر. فمع أن النبي ﷺ ومَن معه من صحابته المهاجرين مدينون للأنصار، ولكن قوله [من لدنك] كان بُشرى من الله بأن عونهم يكون إجابةً لدعائك. لسوف تتغير قلوبهم، وسيعطون المقدرة، فلا تحسبنّ أنك مدين لفضل أحد آخر.. بل إن هذا العون كان خالصا من الله تعالى إجابة لدعائك.

ويتصل هذا الدعاء أيضا بالحياة اليومية العادية. نتعلم من القرآن الكريم أن الأدعية القرآنية لها معانٍ واسعة، وأنها يمكن أن تنطبق على مواقف متنوعة، بل إنها تنطبق عليها فعلاً. فكل أدعية القرآن وإن كانت ترتبط بمواقف خاصة إلا أن سيدنا المصطفى وصحابته ﷺ كانوا يستعملونها وينتفعون بها في مواقف مشابهة. ففي رحلاتنا اليومية يكون هذا الدعاء مفيدا للغاية، وقد جربت بنفسي ذلك، وعاينت تأثيره الطيب بطريقة مدهشة للغاية. فكرت أن أخطب في الجماعة عن هذا الموضوع وحده، وأبين لهم كيف يجد المرء بتأثير هذا الدعاء تيسيرا مدهشا في رحلاته اليومية، ولا يكون ذلك من قبيل الصدفة وإنما تترى المعونات الإلهية بحيث يلاحظ حتى الإنسان العادي أن يدًا خفية هي وراء هذه الأحداث. ولسوف أعود لاستكمال هذا الموضوع فيما بعد إن شاء الله، حتى لا ينقطع سياق الحديث.

ومن أهم معاني هذا الدعاء ما يتصل بأحوال الإنسان. فالإنسان دائما يغير أحواله. يخرج من حال ليدخل في حال آخر. قد ينتقل من حال سيئ إلى حسن أو من حسن إلى سيئ. وبهذا الدعاء علمنا الله تعالى معنى كلمة [صدق] أيضا. حيث يعنى الدعاء: فيا رب كلما يتغير حالي اجعله يتغير بصدق إلى ما هو حق وأفضل. إن الموضوع الذى تناولته الآيات قبل هذه الآية يتصل بالمقام الرفيع لسيدنا المصطفى ﷺ. ففي الآية التى قبلها يأمره الله تعالى: [ومِن الليل فتهجَّدْ به نافلةً لك عسى أن يبعثَك ربك مَقاما محمودا*].. يا عبدي، قُمِ الليلَ، وصلِّ بهذا القرآن جاهدًا، لعل الله في المستقبل القريب يمنحك مقاما محمودا. وتنكير كلمة [مقاما] إشارة إلى عظمة وسمو هذا المقام. وبعد هذه البشرى مباشرة علمه الله تعالى هذا الدعاء: [ربِّ أدْخِلني مدخل صدق..].. يا رب، إن أردت أن ترفعني إلى هذا المقام الذى ذكرته فأدخلني فيه بصدق وأخرجني منه بصدقٍ.. أي لا تجعلني يا رب أتوقف عند هذا المقام، بل اهدني وخذني بيدك إلى مقامات أعلى.. وخذني إليها في حال الصدق. إذًا فقد جاءت هنا كلمة [صدق] ضد الهبوط. فأحيانا يكون المرء في مقام رفيع، ولكنه لشقاوته لا يستطيع البقاء فيه.. كما أشار القرآن الكريم إلى مثال (بلعام بن بعور) الذى أعطاه الله من الملكات ما يتيح له،لو أراد،السموَ، أي لو ثبت على فعل الصالحات وأراد الرفعة إلى الله تعالى، لرفعه مقاما عليا. [ولكنه أَخْلَدَ إلى الأرض].. كان سيئ الطالع فمال إلى الأرض مرة أخرى. وخروجه من المقام العالى لا يمكن أن يسمى [مخرج صدق]، لأنه بدلا من الصدق خطا خارجا إلى غير الصدق. ولذلك أرشد القرآن النبى ﷺ لهذا الدعاء الكامل لكي يكون الدخول بالصدق، والخروج كذلك.. أي ألا يَسقط ويَهبط، وإنما يخطو دائما ويتقدم إلى مراتب أعلى.

وهناك معنى آخر لكلمة [صدق] ينبغى على المؤمنين جميعا معرفته والتنبه إليه دائما. غالبا ما يرغب المرء في الدرجات العلى والأنانية والرياء يتسربان إلى رغبته هذه، إذ يرغب أن يُعدَّ بين الناس من الأتقياء، ويرتفع مقامه عندهم وينال لديهم المقام المحمود. وقد يجد هؤلاء الناس أحيانا خبراتٍ تشبه إلى حد ما الخبراتِ الروحية، فيحسبون أنهم صاروا من المقربين إلى الله، ولكن الواقع أنها ليست تجارب روحية وإنما شيطانية. فكل من يريد التحليق عاليا في سماء الروحانية ويود القرب إلى الله تعالى عليه أن يردد هذا الدعاء بانتظام غائصا في بحر معانيه وإلا لا يثبت قدمه على الصدق.

فقوله: [رب أَدخلني مُدخل صدقٍ] يعني كل ما منحتني، يا رب، من مقام عال فليكن بالصدق ولا تلعب فيه رغباتي الأنانية أي دور، ولا يتدخل فيه أي كذب من ناحيتي.. بل يكون قدمًا من الصدق خالصة.. تمضي في التقدم، وتحظي دائما برضاك. [وأخرجني مخرج صدق]..وعامِلْني، يا رب، بالمثل عندما تأخذني من هذا المقام إلى مقام أعلى.. فلا تتدخل رغباتي الدنية فيها، بل أخطو دائما إلى أهداف أعلى وأفضل طالبا عونك وحدك.

فهذا دعاء كامل جامع مانع ذو معان عميقة، ويُستخدم في مراحل وحالات شتى في الحياة إلى جانب الرحلات اليومية في الحياة.. روحية أو مادية. ففي أمور الدنيا مثلا.. عندما يُمنح الإنسان ترقيةً يكون هذا الدعاء مفيدا؛ إذ يترقى بعض الناس ثم يُطردون في خزي. ولو أنهم قبل الترقية جعلوا من هذا الدعاء تميمة حياتهم، واستمروا منتبهين إليه دائمًا.. لكان نافعا لهم في كل موقف يواجهونه في الحياة ويتغير فيه حالهم إلى حال آخر.

* والآن أعود إلى دعاء أيوب. جاء في القرآن الكريم: [وأيوبَ إذ نادى ربَّه أنِّي مسَّني الضُّرُّ وأنت أرحمُ الراحمين] (الأنبياء: ٨٤).. تذكَّرْ، عندما قال أيوب: يا رب، لقد أصابني الضرر الشديد، وأعلمُ يا رب أنك أرحم الراحمين.

أذكر لكم بإيجاز الحادثة التى واجهت أيوب وأعرِّفكم بشخصيته، لأن معظم الناس يعرفون القليل عن أيوب عليه

السلام.

ولد سيدنا أيوب حولي عام ١٥٥٠ عامًا قبل سيدنا عيسى، ومائتي عام قبل سيدنا موسى عليهم السلام. وهناك خلافات حول شخصه. فعند البعض كان نبيا إسرائيليا، وعند البعض الآخر لم يكن من أنبياء بين إسرائيل بل من غيرهم. ويقول المفسرون المسلمون أنه ولد في منطقة سوريا، وذكرت التوراة أنه كان من مُوز (Mooz)، التى لم أجد ما يؤكد مكانها.

تقول التوراة أن الله تعالى وهب سيدنا أيوب أفضالا كثيرة من الثراء الدنيوي وقطعان الغنم والماشية وكل أصناف الحيوان، وزوجة وأولادا.. فكان من أكبر أثرياء الناس في منطقته. وكان شديد الكرم، وخادمًا لقومه. فحسده الشيطان وقال للرب: أنت معجَب بعبدك أيوب لأنه يعبدك كثيرا ويتذكرك ولا ينساك بالرغم من النعم الكثيرة.. ولكنه لو جربته مرة واحدة لتبين لك حقيقة حاله. دَمِّرْ أملاكه وَلْنرَ كيف يبقى عابدا لك عندئذ. فقال الرب للشيطان: أُعطيك سلطانا على ممتلكاته. وهكذا دمر الشيطان كل ما كان يملك. بعد ذلك قال الشيطان: إن الإنسان إذا كانت عائلته بخير فإنه لا يهتم لفقدان قطعان الماشية، ولكنه لا يتحمل فقدان أولاده. فترك الله أولاد أيوب يُجلَون أولاً ثم يموتون. عندئذ طلب الشيطان أن تكون له سلطة على جسده. فسمح الرب له أن يختبره في صحته. وهكذا أصابه المرض بحيث كان يتصبب الصديد من جسده، بحسب رواية التوراة، حتى جعل الناس يكرهونه ويتجنبونه. كان الدود يجرى في جسده حتى ألقى به الناس خارج المدينة. وفي كل هذه الظروف بَقِيَ أيوب ثابتا صابرا شاكرا لله ولم ينقص إيمانه شيئا. فقال الشيطان للرب: لا تزال زوجته ترعاه وتعينه وهي مخلصة له، فيجب أن يقع به ضرر من قِبل زوجته لنرى صبره. وفكر الشيطان أنه كما أغوى حواء يغوي زوجة أيوب أيضا حتى تتركه. فأخبر الشيطان زوجته بأنها إذا ضحت بعجل أو حيوان آخر باسمه لشُفِي زوجها. وهكذا أمرها بالشرك والوثنية. فاستعدت زوجة أيوب لفعل ذلك تماما. وذكرته لسيدنا أيوب قائلة: كم سيطول بك الصبر؟ ادْعُ ربكِ ليميتك أو ليخلصك من هذا البلاء. فغضب سيدنا أيوب عليها وعزم على أن يعاقبها إذا شُفي من مرضه بمائة جلدة لتورطها في الوثنية. فغادرته زوجته، وبقي وحيدا، ومع ذلك بقي صابرا. عندئذ أخبره الله أنك مررت بفترة البلاء بنجاح، وكل ما عانيت سيكون خيرا لك، وسيعود لك الآن غناك السابق بل أكثر. فعادت له زوجته وأولاده، وأحس الذين تنكروا له من قبل بالخجل، واسترد صحته ومجده وشرفه وعاد إليه الجميع. هذه هي ملخص الرواية.

وروى المفسرون القصة نفسها وإن كان تختلف في بعض الأمور. وتقرر التوراة أيضا أن الشيطان صحب الملائكة أمام المحكمة الإلهية وتحدث مع الرب متظاهرا أنه ملاك مما ترتب عليه بقية الأحداث. لم يقبل المفسرون بهذا وأعطوه لونا آخر جديدا. قالوا بأنه في زمن أيوب كان الشيطان يتخذ لنفسه موقع مراقبة للتصنت عليهم ويتسمع ما يجرى بين الملائكة والأنبياء. وذات مرة كان الملائكة وسيدنا أيوب يتحدثون، والملائكة يكيلون له الثناء، كما رفعوا إلى الله أن عبدك أيوب كثير المال والنعم ومع ذلك يعبدك. فاستمع الشيطان وعرف ما يجرى وبدأ مؤامرته الشريرة.

ذكر سيدنا المصلح الموعود (حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه، الخليفة الثاني لسيدنا المهدي والمسيح عليه السلام) في «التفسير الكبير» أن هناك رواية مشابهة عن زعيم هندوسي صالح «هاريش تشاندرا». تقول القصة أنه أُعطِي نعما من الرب كتلك التى وردت عن أيوب، وأن الآلهة الهندوسية هم الذين أحسوا بالغيرة منه بدلا من الشيطان. ولم يذكر سيدنا المصلح الموعود تفاصيل الرواية، ولكني اطلعت عليها في المراجع التاريخية، ووجدت روايات شتى عن «هاريش تشاندرا» تتلخص في أن الآلهة حسدوه وقالوا للرب الأكبر، بحسب الفكر الديني الهندوسي: أعطنا الفرصة لنختبره. فذهب أحد الآلهة إلى «هاريش تشاندرا» في صورة بشر وقال له: سمعنا عن كرمك الشديد، فهل تقبل التماسي؟ قال: نعم، أعطيك كل ما تسأل. وكان إذا وعد لم يرجع عن كلمته أبدا. فلما سمع الإله إجابته الجازمة قال له: أعطِنى كل شيْ في حوزتك.. كل ممتلكاتك وثروتك، وبيتك وأثاثك. فأعطاه «هاريش» كل شيْ. فقال له الإله: لم تعطني كل شيْ.. لا يزال لديك زوجك وأولادك ونفسك وجسدك. فماذا بشأنهم؟ فباع "هاريش" كل ذلك لرجل من (الشوادر)، وهم أدنى درجات الطوائف عند الهندوس. فبدأت حياة الشقاء، وقاسى «هاريش» كثيرا وتعرض لمصائب جمة.

فهي قصة مشابهة لقصة أيوب. ومال تفكير المصلح الموعود إلى أنه ليس من المستبعد أن يكون أيوب من أنبياء الهند. وقد أشرت آنفا إلى أن بعض المفسرين لا يعدونه من أنبياء بني إسرائيل. ولعل القصة كانت عن نبي هندي ووصلت إلى الإسرائيليين، فأدخلوها في روايات العهد القديم.

بعد هذه الخلفية أتحدث إليكم عن دعاء أيوب في القرآن الكريم كما علمه الله إياه. قال الله تعالى: [وأيوبَ إذ نادى ربَّه أنى مسَّنى الضرُّ وأنت أرحم الراحمين *]. لا نجد تفاصيل عن حال سيدنا أيوب في القرآن، ولكن الإشارات تدل على أنه كان يعانى من كرب شديد، وأن جسده أصيب بأمراض عديدة حتى غادر موطنه في النهاية. ولا نجد في القرآن تفاصيل الأحداث كالتى ذكرت، ولكنه يخبرنا أن الأمر وصل إلى أن تخلى عنه الجميع. فقوله [أرحم الراحمين] يشير إلى أن الناس الذين كانوا يبدون لى الرحمة

قد تحولوا عني. تخلى عني زوجتي وأولادي، ونبذني أهل البلد وتراجع عني الذين آمنوا بي أيضا. وها أنا ذا يا رب، أغادر بلدى وحيدا، ولكنى لم أفقد الرجاء ما دمت أنت أرحم الراحمين. فمن لا يجد رحمة من الرحماء يجدها عندك.

عند هذا الدعاء يقول الله تعالى: [فاستَجبنا له فكشفنا ما به من ضُرٍّ. وآتيناه أهلَه ومثلَهم معهم رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين]. لقد سمعنا لتضرعه الأليم وتقبلناه، وأزلنا عنه ما نزل به من أذى وألم، وأعدنا إليه أسرته وعائلات أخرى مثلهم يعتبرون أنفسهم من عائلته. فقوله [مثلهم معهم] بشارة طيبة بأن الله سيعوضه بيوتا كثيرة أحبته بدلا من بيت واحد. [رحمةً من عندنا]: هذا كله من خالص رحمة الله. [وذكرى للعابدين].. وفي هذا موعظة دائمة لأولئك الذين يعبدون الله.. فمهما واجهتهم من مشاكل ومصاعب فإنهم لا يفقدون الرجاء. وإذا تمسكوا بالعبادة مع الصبر، و ركعوا إلا لله وحده، فإنه من فضله تعالى سوف يفرج كربهم ويغير حالهم ويبدلهم بعد الألم مسرة.

* وهناك دعاء سيدنا يونس الذى يقول عنه القرآن: [وذا النونِ إذ ذهب مُغاضِبًا فظن أن لن نقدِرَ عليه].. أي تذكَّره إذ ذهب متضايقا،وحسب أننا لن نقهره، أو لن نصدر حكما ضده، إذ قدر عليه تعنى حكم عليه أو تغلب عليه، والمعنيان كلاهما يصدقان على الموقف إلى حد ما. [فنادى في الظلمات].. فدعا الله تعالى وهو في الظلمات: [أَنْ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين].. لقد أخطأت يا رب، وأعترف بذنبي، فاغفِرْ لي هذا الخطأ. وإجابةً لهذا الدعاء يقول الله تعالى: [فاستَجبنا له ونجَّيناه من الغم وكذلك نُنجى المؤمنين*].. فسمعنا لدعائه وخلصناه من الحزن الشديد، وهكذا نكافئ المؤمنين.

هناك خلافات تاريخية حول سيدنا يونس وينبغىَ الإشارة إليها. تختلف القصة في التوراة عنها في القرآن الكريم، ويختلف ترتيب الأحداث أيضا. يعتقد المفسرون بصفة عامة أن نينوى هي البلد الذى أرسل إليه سيدنا يونس، وهي في الموصل التى يعيش بها الأكراد اليوم في شمال العراق. ويقولون إن زمن سيدنا يونس كان سنة ٨٠٠ ق.م.

وتقول التوراة أن سيدنا يونس، وهناك سفر باسمه يونا أو اليونان، أمره الله بالتوجه إلى مدينة نينوى لتحذير أهلها بأنهم إن لم يتوبوا فسيصيبهم الدمار. وبدلا من الذهاب إلى نينوى ذهب سيدنا يونس إلى يافا الواقعة على الساحل الغربي لفلسطين، واستقل ذلك المركب الذى ألقوا به خارجه بعد أن وقعت عليه القرعة، وابتلعه الحوت.

ولا يقتنع مؤمن، أعنى ممن درسوا القرآن الكريم وعرفوا منه عظمة الأنبياء، ولو للحظة واحدة أن يأمر الله تعالى نبيا ليذهب إلى الشرق، فيرتد على عقبيه ويذهب إلى الغرب نابذًا أمر الله تعالى، فإن هذا مخالف تماما لمقام النبوة. فأولا، من المحال أن يرفض نبي أمر الله تعالى صراحة هكذا.

وثانيا، في ذلك الوقت كان الحكم الأشورى قويا في شمال العراق، وكانوا في ذلك الوقت هاجموا حكومة بنى إسرائيل وقضوا عليها. لذلك يبدو من المستحيل من الناحية التارخية أن يأمر الله تعالى شخصا يسكن في فلسطين ليقطع المسافة إلى نينوى ليحذرهم. والمسافة بين يافا ونينوى ٥٠٠ ميل في خط مستقيم، ولكن المسافة الحقيقية للسفر أطول من ذلك بكثير. فهذا أمر غير معقول.

وثالثا، لا يوجد دليل في التاريخ على أن أحد الأنبياء أعلن رسالته في نينوى وآمنت به المدينة كلها. وبذلك تكون رواية التوراة غير مقبولة من نواح عدة.

رابعًا، إن ترتيب الأحداث كما روته التوراة غريب. فسيدنا يونس يرفض أمر الله وبدلا من الذهاب إلى نينوى يأخذ مركبا من يافا متجها إلى مكان آخر. وتهب عاصفة في البحر تهدد القارب بالغرق، فيقول الركاب: هناك رجل آثم فيما بيننا وسيعذبنا الله بسببه. فيعترف سيدنا يونس بأنه هو المذنب ويطلب منهم إلقاءه في البحر، فيفعلون به ذلك. فابتلعته سمكة ضخمة، وبقي في جوفها لثلاثة أيام متواصلة. ثم لفظته السمكة في مكان ما، توجه منه إلى نينوى.. وهكذا في نهاية المطاف نفذ أمر الله. وعندما وصل إلى نينوى لم يكن قد تاب حقا.. فبينما كان يبلغهم الرسالة قال في نفسه: أعرف أن هؤلاء الناس سيتوبون وسيغفر الله لهم، وسوف ألقى المهانة بلا داع. فلما تاب الناس ولم يدمر الله نينوى غضب يونس على الله تعالى وذهب إلى الغاب. وهناك كما تقول التوراة أنبت الله نباتا من النباتات الزاحفة فاستظل بظلها. ولكن الله أرسل دودة أكلت جذر النبات فأصبح خاويا وسقط على الأرض. فاشتكى يونس من هذا قائلا: «ظِلٌّ قليلٌ وأحرَمُ منه». فقال له الله: تحزن لموت نبات واحد كل هذا الحزن وأنت الذى لم تبذل فيه أي جهد، وتنتظر منى أن أدمر في لحظةٍ ١٠٠ ألف إنسان خلقتهم بيدى؟ عندئذ فهم سيدنا يونس الحكمة من ذلك.

أما القرآن الكريم فيقدم لنا قصة أخرى تختلف تماما عن هذه. فأولا: لم يذكر مدينة نينوى، ولكن المفسرين خمنوا بأنفسهم بعد قراءة التوراة أن مدينة سيدنا يونس هي نينوى. إذ يقول البعض أن ذا النون تعنى: رجل من نينوى.. مع أن النونَ تعنى الحوت، وقد سميَ يونس أيضا صاحب الحوت.

وثانيا: إذا كان غادر نينوى غاضبا فلماذا سار سبعمائة أو ثمانمائة ميل ليركب سفينة من ميناء يافا مع أن الأقرب منه نهر دجلة الذى تقع عليه مدينة نينوى، وكان بوسعه أن يركب قاربا من هناك. هذا أيضا أمر غير مفهوم.

والقصة القرآنية أكثر معقولية وتناسقا، ولا مجال فيها للاعتراض. لم يذكر القرآن اسم المدينة. كما لم يقل شيئا عن مكثه

في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، ولكنه يقول بأن الحوت التقمه، وأنه في حال الضيق والمعاناة لما دعا ربه نبده الحوت. فالمقصود إذن أنه مكث في هذا الوضع مدة قصيرة.

هذا الموضوع يحتاج إلى شرح، خصوصا لأن المسلمين الأحمديين عندما يناقشون النصارى يشيرون إلى واقعة مكوث سيدنا يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال وبقائه بداخله حيا وخروجه منه حيا،ويقولون: وبالمثل ابتُلِيَ سيدنا عيسى ثلاثة أيام قضى منها بضع ساعات معلقا على الصليب، والباقى من الوقت قضاه في المقبرة وخرج منها حيا.

أود أن أخبركم أن كل ما يقوله القرآن لا يخلو من الحكمة. فذِكر الأيام الثلاثة في التوراة خطأ ولا شك.. لأن قانون الطبيعة لا يترك شيئا حيا ثلاثة أيام وثلاث ليال في بطن الحوت. في مثل هذه المدة تتحلل كل أنواع اللحوم وتذوب ولا يبقى سوى العظم. ثم هناك الاختناق وتأثير الأحماض بما يجعل المكث في بطن الحوت حيا شيئا لا يستسيغه الفكر. فخلو القرآن الكريم من ذكر الأيام الثلاثة هذه كان أمرًا حكيما. يبدو أن الحوت التَقَمَه وهو يدعو هذا الدعاء بألم وكرب: يا ربي، ما هذا الظلام الذى وقعتُ فيه؟ هذه ظلماتى.. ظلمات أخطائى. أتضرع إليك أن تغفر لى فإنى معترف بجريرتي. وبحسب رواية القرآن.. يبدو أن الحوت أحس بغثيان أو مرض فتقيأه. وقد استغرق ذلك الزمنَ اللازمَ لهذه السمكة الضخمة لتصل إلى الماء الضحل القريب من الشاطئ حيث لفظت سيدنا يونس. وهناك أمضى بضعة أيام في ظل شجرة زاحفة، وطَعِمَ من ثمرها الذى شفاه ومنحه النشاط والطاقة. ثم بفضل الله بدأ مهمته النبوية بعد أن هاجر إلى البلدة.

فملخص القصة القرآنية أن سيدنا يونس ذهب برسالته إلى نينوى أو بلد آخر عين له، ورفض قومه رسالته. فأخبره الله أنهم إذا لم يتوبوا ويستغفروا الله فسينزل بهم العذاب بعد زمن ميعن. ونعلم من سيرة الأنبياء أن مثل ذلك قد حدث بأقوام آخرين أيضا. بعد هذا الوعيد الإلهي هاجر يونس عليه السلام من البلدة وتوقف عند مكان آخر غير بعيد، وأخذ يسأل المارّة عن حال البلدة إلى أن فات الموعد المحدد، ولم يدر سيدنا يونس أن أهل البلدة بعد خروجه لم يكتفوا بالتوبة إلى الله خلال هذه الفترة فحسب.. بل وتضرعوا إلى الله تعالى بألم وحرارة ليغفر لهم خطاياهم لأنه أرحم الراحمين، فلا يرد تضرعاتهم. وتروى الآثار والتوارة أنه بعد مغادرة سيدنا يونس أحس القوم بخطئهم، وأدركوا أنه كان رجلا صالحا من عند الله تعالى، وأنه لا سبيل لخلاصهم سوى أن يخرجوا من البلدة إلى الحقول حيث يبكون ويتضرعون بشدة. ولكي يزداد تضرعهم ألماً منعوا الأمهات من إرضاع الأطفال. وكذلك تركوا صغار الحيوانات مفصولة عن أمهاتها. فبدأ الأطفال تصرخ جوعا وعطشا والحيوانات تصيح في مشهد مؤثر. مائة ألف في الحقل بين رجل وامرأة وطفل في مشهد كالقيامة يبكون ويصرخون ويضطربون كالحيوانات الذبيحة. فرحم الله حالهم وألغى عقوبتهم، حتى أن القرآن الكريم يقول: [فلولا كانت قريةٌ آمنتْ فنفعها إيمانُها إلا قومَ يونس لمَّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتَّعناهم إلى حينٍ*] (يونس: ٩٩).. لو أن الأقوام الذين أنذرهم أنبياءهم كانوا مثل قوم يونس فبكوا وتضرعوا إلى الله لعفونا عنهم كما عفونا عن قوم يونس.. ومددنا لهم حياةً نافعة في الدنيا، ولم ينزل بهم عقاب الله تعالى، ولأبقيناهم على حالهم الطيب.

كان هذا ما حدث، ولم يكن سيدنا يونس يدرى بما جرى. ولما مضى الوقت المحدد أخذ سيدنا يونس يسأل الذين جاءوا من البلدة عن أخبارها. فأجابوه أن البلدة في حال طيب وأن الناس فيها أحياء يرزقون. عند ذلك حزن يونس وفكر في الإنذار الإلهي الذى وجهه لهم بالهلاك ولكنه لم يتحقق. فأحس بالخجل وقرر عدم العودة للبلدة.

يحكى القرآن هذه الحادثة بطريقة دقيقة، فيقول: [وإن يونس لمن المرسَلين]. بهذه الشهادة الإلهية تبدأ القصة.. بما يعنى ألا تقولوا عن يونس شيئا يخالف شرف النبوة والأنبياء. يجب ألا يدور بخلدكم أبدا أن الله تعالى أمره بأن يذهب إلى مكان، فعصى أمره وذهب إلى مكان آخر. لقد كان نبيا على أي حال. قد يقع الأنبياء في شيٍ من الإهمال، والرجل العادى يقع فيما هو أشد منه مئات المرات ولا يعاقَب.. لأنه ليس خطيئة بالنسبة لمن هم في هذا المستوى، أما أصحاب المقامات الرفيعة فيظهر العيب فيهم أكثر وضوحا.. كما أن اللطخة العادية تبدو كبيرة في الثوب الأبيض. هذا هو الموضوع الذى يشير إليه القرآن في قوله: [وإن يونس لمن المرسلين]. لقد كان نبيا اصطفاه الله تعالى وبعثه رسولا، ومع ما قد وقع منه من خطأ فسيبقى من بين الرسل، ويجب على المستمعين ألا يتجاهلوا متطلبات احترامه.

ثم يقول: [إذْ أَبَقَ إلى الفُلك المشحون].. تذكَّر عندما أسرع ليلحق بالسفينة الحافلة بركابها. وتبين كلمة [أبق] أنه كان كمن يسرع ليلحق بقطار انطلقت صافرته مؤذنةً بالرحيل، أو بسفينة رفعت مراسيها وتأهبت للإقلاع. كان المركب جاهزا بركابه ويوشك على الحركة فلحِق به.

ثم يقول: [فساهَمَ فكان من المُدْحَضِين].. اقترع سيدنا يونس، ولم يذكر هنا أي شيٍ عن اعترافه بذنوبه أمام الركاب. ويبدو أن القارب كان يهتز بفعل العاصفة وكان مليئا بالركاب، فقرروا أن يلقوا القرعة. ولا يمكن القول بأن المركب كان سفينة، ربما كانت سفينة في عرفهم تلك الأيام ولكنها قارب عادى.. وإلا فما الفائدة من التخلص من أحد الركاب في سفينة كبيرة. فلم يكن المركب كبيرا وإنما من الحجم الذى إذا تخلصوا من أحد ركابه

أتاح فرصة لنجاة الآخرين من الغرق..

ومن عظمة تدبير الله تعالى أن يسأل الركابُ سيدنا يونس ليجري القرعة، ففي هذا حكمة؛ كان سيدنا يونس آخر من لحق بالسفينة، فإذا قام أحد غيره بالقرعة فربما ظن أنها مؤامرة منهم ضده. ولكي يعرف سيدنا يونس أن هذا من تقدير الله وليس مؤامرة من أحد رتب الله أن يطلب ركاب القارب من يونس أن يقوم بإجراء القرعة. فلما فعل خرج سهمه. فألقوا به في البحر.

[فاتقَمه الحوتُ وهو مليم]، أي ابتلعه الحوت وهو في حال يلوم فيه نفسه بنفسه، أوأنه كان ملاما.

[فلو لا أنه كان من المسبِّحين* للَبثَ في بطنه إلى يوم يُبعَثون*]. فلولا أن سيدنا يونس مِن قبل كان من المداومين على تسبيح الله لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

لو نتدبر أكثر في هذه الآيات نجد لطافة في ذكر الأحداث التى واجهت سيدنا يونس، وأن الله تعالى عندما يلقن عباده بعض الدروس فإنه يعلمهم في ضوء ما وقعوا فيه من أخطاء. تذكرون أن سيدنا يونس غادر بلدة آهلة بالسكان الذين بسبب خطاياهم كانوا يستحقون الهلاك.. وكان تقدير الله تعالى أن ينجو منها رجل واحد يستحق النجاة هو يونس. فتركها وهي هدف للدمار بحسب الوحي الإلهي. وبما أنه وقع في خطأ حيث تطرق إلى ذهنه أن الله قد لا يدينه ولا يؤاخذه، كان واحدا من النبيين لذلك لا يليق بنا الظن بأنه فكر أن الله لا يستطيع أن يقدر عليه ويلحقه. لقد تفكرت في هذا وشعرت أن مثل هذه الترجمة ليست صحيحة هنا، وإنما وردت هنا مسألة لطيفة للغاية. فكر سيدنا يونس أن الله كان قرر بعقاب ودمار مائة ألف من الخاطئين الذين ارتكبوا أكبر المعاصى.. إلا أنه عفا عنهم.. فكيف سيعاقبنى على ذلك وأنا من الصالحين وأحد أنبيائه. إنه لن يعاملني بما يخالف الرحمة. إن الرب الرحيم إلى هذا الحد لن يصدر أمرًا ضدى. ولكن يونس نَسيَ أن كل إنسان يعامَل بقدر مركزه وقدرته. إن الآمال في أهل التقوى عالية. ولذلك علَّم اللهُ تعالى سيدنا يونس أن الله تعالى إذا شاء قلب الأوضاع.

لنعُدْ مرة أخرى إلى القارب. كان القارب كامل الحمولة من الركاب كانوا جميعا فيما عدا سيدنا يونس من المذنبين. والله تعالى نجّى هؤلاء العصاة، وأما الفرد البرئ من بينهم فقد تركه الله ليُلقَى من القارب ويواجه الهلاك. ولكن ما وقع في تلك البلدة كان على النقيض مما حدث في القارب تماما. هناك غادر يونس بلدةً آهلةً تنتظر قضاء الله بخرابها، وكان يونس هو البرئ الطاهر الوحيد الذى قرر الله بنجاته. أما في القارب فقدر الله أن ينجو الركاب العاصون جميعا ويُلقَى البرئ في البحر في فم الموت لأنه تشكك لحظة في سنة الله.. فابتلعته سمكة.

[فنادى في الظلمات أنْ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين*]. وكلمة [الظلمات] في دعائه تكشف أن هذا الدعاء مما علمه الله إياه، فهو وحي تام البلاغة والفصاحة.قضى حياته كلها في النور، ولكنه مر في ظل خفيف من الظلمة وارتكب فعلا يعتبر ظلمة من الظلمات،عندما تشكك في أمر الله تعالى، ونتيجة لذلك أحاطت به الظلمات. فنادى وهو غارق في هذه الظلمات بنداء عفويّ: [أن لا إله إلا أنت].. ليس لي إله أعبده سواك..[سبحانك].. أنت قدوس منزه عن كل نقص.. [إني كنت من الظالمين*].. وأنا الذى كنت وقعت في الظلم. وكلمتا «ظلم وظلمات» من أصل واحد.. ولهما معنى مشترك.. فالظلم إثم وظلمة أيضا.

ونتيجة لهذا الدعاء أنقذ الله تعالى سيدنا يونس حيث وقال: [فلولا أنه كان من المسبِّحين..].. لقد عفونا عن يونس لأنه قضى حياته الماضية في ذكر الله وتسبيحه. ومن هذا يتبين أن الله تعالى يحتفظ بالأعمال الطيبة لعباده. فمع أن خطأ خطيرا قد وقع منه يترتب عليه أن تظلم كل أعماله السابقة بسبب ما هو معقود عليه من آمال، ولكن الله تعالى يقول: إننا لا ننسى الأفعال الطيبة للصالحين.. فقد أمضى حياته في ذكر الله وتسبيحه. وفي هذا عظةٌ لنا. إذا ابتهلنا إلى الله عند حلول مصيبة: يا رب،قد وقعنا في الخطأ، فخلِّصْنا من ذنبنا، وأخرِجْنا من الظلمات.. مع أننا لم نكن من قبل نسبح الله ونذكره.. فإن دعاءنا هذا لن يكتسب قوة كبيرة للقبول. لذلك ينبغى أن نبقى دائما في ذكر الله. يجب أن نحمده عندما لا نسأل الله تعالى شيئا. يجب أن نذهب إلى بابه ونحن لا نلتمس شيئا.. بل محبةً له وذكرًا له نتغنى بالثناء عليه وتسبيحه ونذكر صفاته. في هذا الحال عندما نواجه صعوبة فإن الله يذكر لنا تسبيحنا السابق ويعفو عنا حتى وإن وقعنا في خطأ كبير.

فالذين يكتبون إلي أنه قد أحاطت بنا المصاعب، ودعونا كثيرا وصرخنا وابتهلنا وبكينا، ولكن لم يستجب دعائنا.. إنى أقول لهم: هذه عظتى لكم؛ يبدو أنكم في الماضى أغفلتم ذكر الله تعالى. لقد منحكم الله كثيرا من النعم ولكن لم تذكروه، تذكرونه فقط عندما تحتاجون. وعندما يكون المرء في حاجة فإن الذكر يكون بلا حقيقة ولا قيمة.

وبهذه المناسبة أذكركم بأن لا تصروا أثناء النقاش مع النصارى على أن سيدنا يونس مكث في بطن الحوت ثلاثة أيام. كل ما نقوله إنه كان في حالة خطر لمدة ثلاثة أيام. ويبدو أن رواية التوراة لم تكن واضحة تماما لمن كتبوها. قد يكون الله تعالى أوحى لبعض الصالحين، أو وصلتهم قصة نبى وأخطأوا بهذا الصدد. ربما ذكرت القصة خطورة حالته لمدة ثلاثة أيام.. فافترضوا أنه عاش في بطن الحوت لهذه المدة. وهذا يشبه حال من يعانى من أزمة قلبية لفترة ويبقى في العلاج المركّز لثلاثة أيام في حال صراع بين

الحياة والموت، ويبدو أن الموت هو الغالب، فيقال إن الحال خطير، ويستمر المرض بعد ذلك ولكن احتمال الشفاء يزداد. وكذلك سيدنا عيسى بعد مكثه على الصليب بضع ساعات.. استمر في مثل هذه الحال ليومين ونصف. كان يقاسى من جروح عميقة وبدا كالموشك على الموت حيث كان يعانى من سكرات الموت ولم يمكن الجزم بأنه ستكتب له الحياة. بهذه الطريقة يكون قد مكث ثلاثة أيام مثل سيدنا يونس، بحيث لو أن الحوت قد التقمه للحظة أو لحظتين أو لبضع دقائق، ولكن عندما لفظه كان مصابا بجراح كثيرة وناله أذى كبير، ومكث ثلاثة أيام في آلام الموت. ولو لم يقدر الله للنبات الزاحف أن ينبت عليه ويحميه، ولو لم تكن في النبات ميزة الشفاء.. ما كان أمامه فرصة للحياة. فالله تعالى ينقذ المرء حتى لو كان في مثل هذا الحال. وإذا كانت هناك في هذه القصة دروس للحذر والتنبه، فهناك أيضا ما يذكرنا بفضل الله تعالى اللامحدود.. الذى ينقذ المرء وإن ظهر أن لا فرصة للنجاة.

* سبق أن تناولنا دعاء لسيدنا زكريا. وهذا دعا آخر له يقدمه لنا القرآن في صيغة أخرى.. يقول: [وزكريا إذ نادى ربَّه ربِّ لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين *] (الأنبياء: ٩٠).. لا تدعنى يا رب وحيدا.. وأنت خير الوارثين. في الدعاء الأول في سورة مريم، دعا زكريا ربه أنه بلا أولاد، وأنه يخشى أقاربه.. وزوجته عجوز عاقر.. فإذا تركها هكذا بعد موته فليس لها من يحميها. قد يظن ظان أن سيدنا زكريا اهتم بإنجاب الأطفال لسبب مادى.. إذ لم يكن له من يرثه ولا تجد زوجته من يحميها، ولكن لما كان سيدنا زكريا شديد المحبة لله، ويثق فيه ثقة لا تحد، لذلك ذكر القرآن له دعاء ثانيا يزيل به أي فهم خاطئ. يقول: أريد ألا أبقى وحيدا، بل تكون لى ذرية من بعدى.. ليس لأنه لا وارث لى، [وأنت خير الوارثين].. فأنت الوارث الحقيقى لكل إنسان.. كل أملاكه وثروته وشرفه ومسئولياته تؤول إليك.

والوارث يعنى هنا معنيين؛ فهناك الوارث الذى تعود إليه ممتلكات الشخص، وهناك الوارث الذى يرث مسئوليات المرء. والوارث حقا هو الذى يقوم بمسئوليات المتوفى. فقوله: [وأنت خير الوارثين] يتضمن المعنين؛ الأول: كل ما في حوزتي يا رب ليس لى، ولا لأحد غيرى، بل عندما نموت نغادر كل شئ، ويعود إليك ما أعطيتنا. فأنت الباقي الذى يرجع إليه كل شئ. والثانى: إن الورثة من البشر قد يؤدون المسئوليات وقد لا يؤدون، ولكن من يتوكل عليك، يا رب، يجدك الوارث الحق الذى يتحمل كل الأثقال. أنت الذى تدبر قضاء ديونهم، وأنت الذى تقوم بكل مسئولياتهم.

فالذين يدعون الله تعالى طلبا للذرية عليهم أن يضعوا المعنيين في اعتبارهم عند ترديد هذا الدعاء. ليدعوا الله بأن لهم رغبة في الأولاد.. ولكن ليس لأنهم سيهلكون بدون أولاد.. فأنت الوارث وحدك وأنت الباقي وحدك. ومن كنت له وليا لا يمكن أن يمحى اسمه، لأنك تستوفى مسئولياته حتى بعد مماته. فإذا لم تمنحنا ذرية فلن نسخط، ولن نحس بالعار. إن منحتنا مسألتنا فذلك خير.. وإلا فأنت خير الوارثين، وليس لنا أي حق للشكوى بين يديك.

ثم يقول الله: [فاستَجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجَه].. فأجبنا دعاءه ووهبنا له يحيى هديةً منا، وشفينا له زوجه العجوز العاقر.

ثم يقول: [إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغَبًا ورهَبًا..]. وهنا أيضا تتضح فلسفة قبول الدعاء. لماذا يقبل الدعاء من بعض الناس أكثر من سواهم. يقول: [إنهم كانوا يسارعون في الخيرات].. لأنهم لا يأتون إلى بابى وقت الحاجة فقط.. وإنما كانوا بدافع محبتهم لي يتسابقون في فعل ما هو خير، ويخدمون بنى البشر، وكلما تتاح لهم فرصة لذلك لا يفرِّطون فيها، بل يقدمون دائما على المشاركة في كل خير. [ويدعوننا رغبًا ورهبًا].. وكانوا يذكرونني دائما، ويبتهلون إلي بالرجاء والخشية. أحيانا يدعون رجاء رضاى ورغبة نوالى، وأحيانا يدعون خشية غضبي. [وكانوا لنا خاشعين]. فمن كانت هذه عادتهم يكونون دائما بين يدي الله في تواضع وتذلل وانصياع.

يقول بعض الناس أن الله تعالى أظهر هذه الآية المعجزة لسيدنا زكريا فقط، ولكننا دعونا لزوجاتنا المسنات فما ولدن أطفال، وما شفيت العاقر، وما ذهب عنا ضعفنا. فأقول لهؤلاء إن الذين يسألون الله أمورا غير عادية يجب أن يحدثوا في أنفسهم تغييرات غير عادية. إنهم يبدلون حياتهم في سبيل الله، ولا يقدمون على الله تعالى وقت حاجتهم فقط وإنما هم بين يدي الله تعالى طول حياتهم. لا ينفكون راضين برضاه، راضين بابتلاءاته، وفي خشية دائمة من تقصير قد يغضب الله عليهم ويحرمهم من مرضاته. إن دعاء هؤلاء مقبول بشكل إعجازي وغير عادى. أللهم اجْعلنا من بين عبادك هؤلاء.. فنسأل الكثير منك، ونسأل بتضرع عميق.. ولكن عازمين على أنه حتى لو لم تَستجب فسنبقى راضين عنك

إني أحب هذا البيت من شعر سيدنا المصلح الموعود أكثر من أبياته الأخرى ومعناه:

«أللهم نسألك فضلك. ولكن إذا كان منك الابتلاء لكي نفوز برضاك ولا يكون سخطا منك فنحن سعداء بكل ما يرضيك».

لو دعوتم بمثل هذه الروح كسبتم كل شئ. المفلحون في هذه الدنيا هم فقط أولئك الذين يرضون بكل تغييرات سيدهم.. الذين لا يقتصر حبهم على الخيرات والطيبات.. وإنما يحبون اليد التى تعطى الخير أللهم، اجعلنا من هؤلاء. آمين!

السنة السادسة عشرة العدد (3572)
الاثنين 30 ذو القعدة 1412 هـ الموافق 1 يونيو 1992
في جميع العواصم العربية والاوروبية

جريدة «العرب» اللندنية، ١ يونيو ١٩٩٢

الأصل في الصورة

الموفد السعودي اسحاق سخوطة يشد على ايدي صديقه الحميم الحاخام الاسرائيلي الذي رتب معه اجراءات التطبيع واستقبال السياح السعوديين. الصورة نشرت في عدة صحف وليست من ارشيف احد. ومن شابه سيده فما ظلم!

اتفاق سعودي إسرائيلي على التطبيع

مائتا سائح سعودي يزورون القدس هذا الشهر

القدس المحتلة ـ العواصم ـ وكالات ـ نشرت دورية «لوموند» الفرنسية امس تفاصيل جديدة عن الجهود السعودية من اجل تطبيع العلاقات بين العرب والمسلمين من جهة، والكيان الصهيوني من جهة اخرى.

وسلطت الجريدة في خبر لها الضوء على ما يجري في الخفاء من ترتيبات بين الحكومة السعودية وتل ابيب، واضافت معلومات اخرى حول ما سبق ان نشرناه في «العرب» عن دور سفير خادم الحرمين الشريفين في واشنطن بندر بن سلطان والمبعوث السعودي الخاص الموجود في الكيان الصهيوني «اسحاق بن سخوطة».

وقالت دورية «لوموند» التي تصدرها «مؤسسة «لوموند» الفرنسية المتخصصة بقضايا المخابرات ان الاتصالات السعودية مع اسرائيل بدأت قبل سنة وان استعدادات تتخذ الان للبدء باستقبال اولى دفعات السياح السعوديين الراغبين في تمضية الصيف في الاراضي العربية المحتلة ومع ان الصحيفة لم تشر الى دور الحكومة السعودية في تمويل المشروع الا ان مصادر مطلعة في اوروبا قالت ان اشخاصا سعوديين وبدعم من جلالة الملك فهد يدرسون حالياً جدوى العديد من المشاريع التجارية في فلسطين المحتلة وان هذه المشاريع تاخذ اشكالاً عدة.

وفيما يتعلق بالاستعدادات المتوالية على حد قول الصحيفة للتعاون في مجال السياحة قالت «لوموند» ان وكالة السياحة الاسرائيلية المسماة «زيارة» والتي يملكها تاجر السلاح الاسرائيلي يعقوب نمرودي، وهذا الشخص معروف في اسواق التجارة والسمسرة السياسية في العالم وله اكثر من دور مشبوه في قضيتي تزويد ايران بالسلاح الصهيوني وايضا في ترتيبات الاتفاق الامريكي الايراني حول مسالة الرهائن. وتمضي «لوموند» القول ان «زيارة» صارت جاهزة لاستقبال الافواج الاولى من السياح السعوديين بمدينة القدس.

وتتويجاً لهذه المجهودات اصبح منتظراً في هذا الشهر «يونيو» ان يفد على القدس مائتا سائح سعودي لزيارة المدينة المقدسة وقبة الصخرة. وفي هذا الاطار يعمل المسؤول عن مكتب وكالة السياحة المسمى «مير قيلان» على استخراج تاشيرات خاصة لهؤلاء السعوديين بمساعدة السلطات الاسرائيلية. وبالتنسيق مع اسحق ادريس سخوطة عضو رابطة العالم الإسلامي التي تتخذ من الرياض في المملكة العربية السعودية «مقراً رئيسياً لها والموجود في تل ابيب منذ اكثر من اسبوعين والذي اشارت «العرب» الى دوره القذر كموفد سعودي لاسرائيل.

ومع ان سخوطة قد غلف زيارته للقدس بستار معاينة متطلبات ترميم قبة الصخرة موفداً من العاهل السعودي لهذا الغرض لكنه في حقيقة الامر زار مناطق سياسية والتقى مع شخصيات سياسية اسرائيلية ومنهم رئيس الكيان الصهيوني نفسه اسحق هيرتزوع الذي نقل اليه تحيات خادم الحرمين!

وادلى سخوطة بتصريحات صحفية قال فيها ان زيارته للاراضي المحتلة تدخل ضمن اطار تدعيم سبل السلام في الشرق الاوسط. وحاولت السلطات السعودية التكتم على اخبار وانشطة سخوطة وعالجتها بسرية تامة. الا ان وسائل الاعلام الاسرائيلية عملت على تغطيتها بشكل مكثف واصفة المبعوث السعودي بانه مقرب جدا من المسؤولين السعوديين ومن خادم الحرمين الذي لم يصدر عنه اي رد فعل!

ويحتفظ الموفد سخوطة بعلاقات ممتازة مع الحاخام الاسرائيلي دافيد روزن مدير جمعية محاربة اساءه السمعة لليهود وهي جهة تتخذ من هذا الشعار واجهة للدخول في مشاريع وخطط مخالفة تماماً لمسماها ويعتقد ان حاخامها هذا ربما يكون ممن زاروا المملكة العربية السعودية اكثر من مر سراً او علانية.

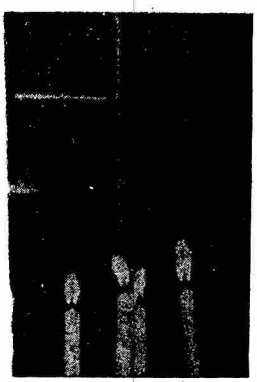

ـ السفير المغربي يتحدث في الحا

السفير المغربي هيكل يرد

لندن ـ قالت صحيفة «جويش كر «وعد السفير المغربي خليل حداوي، يقدم مساعدات عملية لمشروع بناء اول دائم لجماعة بوارت يوسف اليهودية،

بدون تعليق !!

(الحلقة الثانية)

نظرات "أحمدية" في القرآن الكريم

بقلم: نذير أحمد قزق

(٤)
مراحل التطور الخُلقي للإنسان

هناك قانون طبيعي معروف بأن كل شيء يجب أن يمر بست مراحل من التطور قبل أن يصل إلى مرحلة الكمال. لقد كتبنا ثلاثة أبحاث مبنية على آيات من القرآن الكريم تشير إلى هذا القانون وعناوينها: المراحل الست للتطور الروحي للإنسان والمراحل الست للتطور الجسدي للإنسان، والموازاة بين نمو وولادة الإنسان الروحية والجسدية، والمراحل الست لخلق الكون.

أما موضوع بحثنا اليوم فإنه يتعلق بالمراحل الست التي يجب أن يعبرها الإنسان قبل أن يصل إلى مرحلة الكمال الأخلاقي. وقد جاء ذكر هذه المراحل في قول الله تعالى: [إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكَّرون] (سورة النحل: ٩١). إن الآية الكريمة تتضمن ثلاث وصايا وثلاثة نواهٍ، وهذه الأوامر والنواهي تشمل مختلف المراحل الأخلاقية والروحية لتطور الإنسان. مع العلم أن هناك علاقة قوية بين الحالة الأخلاقية والحالة الروحية للإنسان، ولكن مجرد الأخلاق وحدها لا تمنح الإنسان حياة روحية. وهذا يعني، أنه يمكن للإنسان أن يتحلى ببعض الأخلاق دون أن يكون إنسانًا روحيًا، ولكن لا يمكن أن يكون إنسانًا روحانيًا دون أن يمر بمرحلة الأخلاق. وهذا يعني أيضًا، أنه يجب أن يكون أولاً حائزا على درجةٍ أخلاقية حتى يكون ذا درجة روحية.

تشكل هذه الآية مثلاً جيدًا لما قيل في الآية السابقة: [ونزّلنا عليك الكتابَ تبيانًا لكل شيءٍ وهدًى ورحمةً وبشرى للمسلمين].

في هذه الآية يعلن القرآن بأنه يملك أربع خصائص عظيمة وهي:

١. أنه تبيان، أي تفسير لكل شيء
٢. أنه هدى، أي إرشاد
٣. أنه رحمة
٤. وأنه بشرى لمن أسلم وجهه لله تعالى.

نلاحظ بأن الآية تنتهي بقوله تعالى: [لعلكم تذكَّرون]، أي الفروضَ الواجبة عليكم تجاه الله تعالى ومخلوقاته، وربما أيضا تمجدون عظمة الله وتتناشدون في ثنائه. وبما أن هذه هي الأغراض لخلق الإنسان، فإن الآية تعطي المؤمنين البشرى بأنهم سيحققون باتباعهم الأوامر المشتملة فيها غرضَ خلقهم. إنه شيء رائع ومدهش أن يسلط القرآن بهذه الآية القصيرة الضوء على هذه الأمور لإثبات حقيقة الادعاء.

قبل أن نبدأ بتفصيل الآية وشرح المراحل الست، يجدر بنا أن نوضح معاني بعض الكلمات كالآتي.

أ. «الإحسان»: تعني عمل الخير؛ الإخلاص. والحسنى (مؤنث الأحسن) تعني: ١. النجاح والانتصار، ٢. أحسن شيء، و٣. رؤية الله، (قاموس لين والأقرب).

ب. ذي القربى: «القربى» هي مصدر قَرُبَ الشيءُ: كان أو أصبح قريبًا. والقرابة مثل قربى، ولكن القرابة نَسَبٌ بالمفهوم العام، أما القربي فهي نَسَبٌ من جانب المرأة.

ج. الفاحشة: مشتقة من فحش. فحش الأمر: أصبح فاسدا، سيئًا، فاسقًا أو داعرًا. فحشت المرأة: أصبحت فاسقة أو بشعة وكريهة. والفاحشة تعني أيضًا خطيئة أو جريمة شديدة الفسوق؛ الزنى. وكلمة «الفحشاء» تعني معنى الفاحشة وتعني أيضا الجشع، أو البخل في دفع الزكاة (قاموس لين).

د. المنكر: مشتقة من نكر. نَكَرَ الرجلَ: لم يعرفه. نكر الأمرُ: كانت المسألة أو أصبحت صعبةً، قاسيةً، شاقة، عاطلة، شريرة، بغيضة، فاسدة أو غير مستحسنة. والمنكر يعني مجهول أو غير معروف، مرفوض أو غير معترف به؛ أي عمل ينظر إليه أو يصرح عنه بأنه عاطل، شرير، مكروه، بغيض، غير محتشم، غير لائق.. إلخ (قاموس لين والأقرب).

ه. البغي: مشتقة من بَغَى. يقولون بغى الشيءُ، أي تمناه، أو

رغبه، أو بحث عنه. بغى الرجلُ: خالف، أو انتهك؛ أو ابتعد عن الحقيقة؛ أو عصى وتمرد ضد سلطة شرعية. بغى عليه: أساء إليه واستمر لمدة طويلة في هذا العمل (الأقرب).

بغى على أخيه حَسَدَه ورغب بأن تتحول نعمةٌ ما من أخيه إلى نفسه (قاموس لين).

ميزة القرآن

من المستحيل أن نجد مثل هذا الإيجاز والشمولية في أية كتب دينية أخرى. ثم إن الكلمات في الآية سهلة وبسيطة ويمكن لأي شخص عادي أن يفهمها بكل سهولة. إن أي أمر من الأمور لا يمكن أن يكتمل فهمه ومعالجته دون تسليط الضوء على مظاهره الإيجابية والسلبية أيضًا. ومرة ثانية نقول بأن الكتاب الديني المقدس لا يمكن أن يدعي بأنه كامل دون أن يحوي ويتضمن الخصائص الأساسية التالية:

* يجب أن يوصي بتأدية الأعمال التي تقود إلى كمال الإنسان الأخلاقي والروحي، وينهى عن الأعمال التي تحول دون تحقيق ذلك الكمال.

* يجب أن ينص على القوانين التي يمكن تطبيقها، ليس على شخص واحد أو مجموعة واحدة فقط، ولكن للعدد الأكبر من الأفراد والمجموعات. ويجب الأخذ بالاعتبار إلى ميول وحساسيات كل هؤلاء الناس المعنيين في ذلك الكتاب، حتى لا يصعب تطبيق تعاليمه على، في كل شخص حسب طاقته.

* يجب أن تكون تعاليمه عملية يمكن تطبيقها، وأن لا يؤذي بأخلاق الإنسان أو عقله أو مَدَنيته. إن الآية تشمل كل هذه الخصائص الأساسية للقانون الإلهي الكامل. وإن هذا القانون قد عالج بنجاح كل الجوانب السلبية والإيجابية لتطور الإنسان الأخلاقي. لقد أمر بالعدل، وعمل الخير للآخرين، والعطف على الناس كمثل العطف على الأقارب، وقد نهى عن الفحشاء والمنكر والبغي.

المراحل الست الأخلاقية

والآن نذكر بالتفصيل المراحل الستّ لتطور الإنسان الأخلاقي وهي كالآتي:

المرحلة الأولى.. العدل

إن العدالة الصادقة تقول بأن يعامل المرء الناسَ كما هم يعاملونه، أي أن يرد للآخرين الحسن والسيئ بنفس المقدار الذى أخذه منهم. أما بالنسبة لله تعالى، فإن العدل يعنى بأن الله تعالى كما كان منعمًا على الإنسان فيجب عليه بالمقابل أن يُسلِّم لله تعالى حقه، وألا يجعل الله تعالى عرضة للانتقاد من خلال تصرفاته. يجب ألا يعطي للآخرين ما هو حق لله تعالى مثلاً حبه وتفانيه. إن إشراك إلهة مع الله الأحد عمل جائر وظالم بالنسبة لله تعالى. كذلك فإنه من المعارض لمتطلبات العدل بأن يدعي الإنسان لنفسه أية صفة تكون مقصورة على الله تعالى وحده. مثلاً، إن الله تعالى وحده أنزل القوانين الدينية بالوحي، فإذا ادعى أحد الناس لنفسه هذه الخاصية الإلهية ويبدأ بتشكيل قانون ديني، ثم يحاول صَبغه بصبغة القانون الموحي به، فإنه يتعدى حدود العدالة. فإن العدل بالنسبة لله تعالى يعني إلغاء جميع أنواع الشرك والكفر أو الإلحاد ومعصية الله تعالى.

المرحلة الثانية.. الإحسان

في هذه المرحلة على الإنسان ألا ينظر للطريقة التي يعامله بها الآخرون، بل عليه أن يعاملهم بالحسنى حتى ولو أساءوا معاملته. في هذه المرحلة يجب ألا يكون سلوكه مدفوعًا باعتبارات التبادل، ولكن عليه أن يقوم بالأعمال الحسنة تجاههم بغض النظر ما إذا فعلوا به أي عمل حسن أو حتى لو أنهم أساءوا معاملته. وهذه، في الحقيقة، مرحلة أخلاقية أعلى من سابقتها مرحلة العدل. إن صفات العفو والتسامح والمحبة وعمل الخير والصدقة والخدمة الاجتماعية وما إلى ذلك كل هذه الأعمال تقع تحت مرحلة الإحسان.

وإن تشجيع ومناصرة المعرفة والتعليم العام وتنظيم فروعها المختلفة هي أيضًا من ضمن هذه الصفة (الإحسان)، لأن من غرضها هو خير وصالح الإنسان ماديًا وروحيًا.

المرحلة الثالثة.. إيتاء ذي القربى

وإيتاء ذي القربى هي أعلى مرحلة من مراحل التطور الأخلاقي للإنسان. في هذه المرحلة يتوقع من الإنسان أن يقوم بالأعمال الحسنة للآخرين، ليس كمقابل للعمل الحسن الذى ناله منهم، ولا بفكرة القيام بعمل أحسن من العمل الذى ناله، بل يجب أن يكون عمله مدفوعًا بحافز طبيعي مثل العمل الحسن الذى يقوم به الإنسان تجاه أقارب الدم المقربين. هذه بالطبع مرحلة أخلاقية أعلى بكثير من مرحلة الإحسان. في مرحلة الإحسان يمكن أن يظن فاعل الخير بأن الشخص المعني قد فعل شيئًا من الإحسان نحوه، فيجب عليه أن يقابله بعمل أحسن وبالتالي يحوز على استحسان، أو يمكن أن يفكر أنه إذا سامح الشخص الذى أساء إليه، فإن عمل الصفح هذا سيحول العدو إلى

صديق. ولكن في مرحلة «إيتاء ذي القربي» يعمل الخير للآخرين بدافع الطبيعة كأنه يقوم بعمل خير تجاه أحد أقارب الدم المقربين إليه. إن حالته في هذه المرحلة تشبه حالة الأم في حبها لأطفالها عن حافز طبيعي. إن تضحيات الأم والمصاعب التى تتحملها بإرادتها وبكل طيبة خاطر من أجل أطفالها ليست أبدًا على أمل أن يردوا لها المعروف أو حتى تنال استحسانهم، بل إن هذه الأعمال والتضحيات تتدفق من نافورة الحب الطبيعي الذى زرعه الله تعالى في طبيعتها. وفي هذه المرحلة يصبح التطور الأخلاقي للإنسان تامًا.

ويجدر بالذكر أن علاقة الإنسان بالله تعالى لا يمكن أن تتعد مرحلة العدل، لأنه ليس من المعقول أن يعمل الإنسان الخير بأي شكل لمنفعة الله تعالى، إنما تكون هذه الأعمال لخلق الله تعالى الذين يمكنه أن يتعامل معهم حسب حالته الأخلاقية في مرحلة «الإحسان» أو مرحلة «إيتاء ذي القربي». وهذا يتضمن إشارة جميلة أنه من الضروري لنيل القرب من الله تعالى أن يعمل الإنسان الخير لمخلوقات الله تعالى.

إن وصف هذه المراحل الأخلاقية الثلاث يشكل الجانب الإيجابي لموضوع تطور الإنسان الأخلاقي، وأما جانبه السلبي فإنه مرسوم بالنواهي الثلاثة: الفحشاء والمنكر والبغي.

المرحلة الرابعة: تجنب الفحشاء

وتعني الفحشاء تلك الرذائل التى لا يعلمها أحد من البشر إلا فاعلها فقط.

المرحلة الخامسة.. تجنب المنكر

والمنكر هي تلك الأعمال التى يراها ويشجبها ويبغضها الناس أيضًا، وتنتهك حقوقهم.

المرحلة السادسة.. تجنب البغي

والبغي تشمل كل تلك الرذائل والأعمال السيئة ولكنها ليست مقصورة على الرذائل التى يراها ويشعرها ويمقتها الناس فقط، ولكن التى تعود عليهم بضرر.

هذه الكلمات الثلاث البسيطة (الفحشاء، المنكر، البغي) تشمل كل الرذائل التى يمكن أن نتصورها ونتخيلها. إن التعاليم الكاملة يجب أن تراعي المتطلبات الأخلاقية للناس بمختلف ميولهم ونزعاتهم. وهذه الآية تستوفي كلية هذا الشرط الأساسي. هناك بعض الناس الذين يمكن أن يكونون مذنبين لقيامهم بأعمال غير لائقة، ولكنهم بنفس الوقت لا يوافقون على الأعمال غير الشرعية أو الجائرة التى تعود بالضرر على الآخرين. ثم هناك أناس آخرون لا يتعدون على حقوق الآخرين، ولكنهم يعانون من الأخلاقيات غير اللائقة التى يعود ضررها على أنفسهم فقط، مثل الاغتياب أو الغيرة أو الضغينة والحسد للآخرين. إن الكلمات الثلاث المختصرة (الفحشاء، المنكر، البغي) تشمل جميع أنواع الرذيلة التى يمكن للإنسان أن يكون ضحيتها. على هذا، فإن هذه الآية القصيرة قد عالجت بوصاياها الثلاث ونواهيها الثلاثة كل نوع من الفضيلة والرذيلة، كما أنها تحوي إرشادًا أساسيًا وضروريًا للناس الذين يتمسكون بحوافز مختلفة خلال مراحل مختلفة من تطورهم الأخلاقي.

أسلوب لافت النظر

باختيار وتنظيم مناسبين للكلمات قد شرحت الآية كيف يمكن للإنسان أن يتجنب بكل فعالية جميع أنواع الرذائل ويكتسب كل الفضائل. إنها عند ذكر الفضائل الثلاث تقول أنه يجب على الإنسان أولاً أن يحصد صفة «العدل»، عندئذ يمكنه حصد صفة أعلى وهي صفة «الإحسان»، وبعد اكتساب هاتين الصفتين سينجح بحصد صفة «إيتاء ذي القربي»، أسمى الصفات الأخلاقية، ولكن عند تجنب الرذائل عليه أن يبدأ بالأكثر وضوحًا والأكثر ضررًا وهي البغي، وبعد التغلب على هذه الرذيلة عليه أن يحاول أن يتخلص من الأقل وضوحًا وهي المنكر. وعندما يتخلص من هذا الشر، عليه أن يحاول ضبط أخف أنواع الرذائل وهي الفحشاء.

وقد جاء وصف الصفات الأخلاقية الحسنة ونظيرها من الرذائل سويًا للفت الانتباه للحقيقة المهمة وهي أنه لحصد الصفات الأخلاقية الحسنة، على الإنسان أن يبدأ من أسفل درجات السُلم، بينما في نكران الرذائل عليه أن يبدأ بالصفة الأكثر وضوحًا وضررًا.

فلأجل الكمال الأخلاقي على الإنسان أن يعبر ست مراحل من التطور، وهذا يتجانس ويتوافق تمامًا مع قانون طبيعي مشهور، وهو بأن كل شيء يجب أن يمر عبر ست مراحل من التطور قبل أن يصل إلى الكمال.

محمد المصطفى ﷺ أكمل البشر

ومعنى وصول الإنسان إلى «الكمال» هنا هو أن الدين الإسلامي دين واسع وشامل، وقد ترك لنا الباب مفتوحًا من أجل الرقي والتطور. ولكن يجب أن نتذكر بأن الرسول ﷺ هو المحور لهذه الكمالات من بين البشر. فنحن نعلم من القرآن الكريم بأن الكون

بقية ص ١٩

إعداد: رشيد احمد شودرى سكرتير الإعلام بالجماعة

اخبار الجماعة

قضايا ضد المسلمين الأحمديين

بأوامر صادرة من حاكم منطقة جهانج.. قُيدت خمس قضايا ضد محرري وناشري وطابعي المجلات الشهرية التالية: «أنصار الله» للكبار، و«خالد» للشباب الأحمدي، و«مصباح» للسيدات، و«تشحيذ الأذهان» للأطفال. وأقيمت القضايا يوم ٢٩ مايو.. استنادا إلى المادة ٢٩٨ س من قانون العقوبات الباكستاني. وكانت التهمة أن هؤلاء جميعا تحدثوا كالمسلمين في المقالات التى نشرت بتلك المجلات!!

أما ما نشرته المجلات واعترضت عليه السلطات فيتألف من: خطبة للإمام الروحي للجماعة الأحمدية حث فيها حضرته الأحمديين على دراسة القرآن الكريم، ومقالات عن أهمية الدعاء، وبعض نبوءات من التراث البوذي، والحاجة إلى دعوة الناس إلى الله، ومقتبسات من إلهامات مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية.

ورُفعت قبل ذلك يوم ١٩ مايو قضية أخرى ضد كل من محرر وناشر وطابع مجلة «خالد»، وكانت الاعتراضات ضدهم بسبب العبارات الإسلامية التى وردت على صفحتي ٢٧ و٢٨ من المجلة.

الغارة على مسجد أحمدي وإزالة كلمة الشهادة

قام حاكم سرجوداها، عاشق حسين، وبصحبته كوكبة من رجال الشرطة بغارة على مسجد الجماعة الإسلامية الأحمدية الواقع في قرية تشك ٩٨ الشمالي، وذلك في ١٣ أبريل ١٩٩٢، وقاموا بإزالة الكلمة الطيبة من وجه المسجد، مستخدمين الطلاء الأسود، وذلك بحضور المسلمين الأحمديين المحليين وبعض وجهاء القرية الذين وقفوا في احتجاج صامت.

الاجتماع السنوي

آلاف الأحمديين يجتمعون في إسلام آباد بمقاطعة سري، بالمملكة المتحدة

عُقد الاجتماع السنوي ذو الأيام الثلاثة للجماعة الإسلامية الأحمدية بالمملكة المتحدة في بداية الأسبوع الأول من أغسطس، شارك فيه ١٢٠٠٠ عضو يمثلون ٥٦ قطرا من العالم.

وتحدث في الاجتماع عدد من الخطباء في الموضوعات الدينية والاجتماعية والتعليمية. وتركزت الأضواء على خطب الإمام الروحي للجماعة الإسلامية الأحمدية، حضرة مرزا طاهر أحمد، التى تُرجمت فورا إلى اللغات العربية والألمانية والهولندية والإندونيسية والروسية. كما أذيعت مراسم الاجتماع بالقمر الصناعي إلى مختلف بلاد أوربا والهند وباكستان وبنغلاديش واليابان وإندونيسيا وسنغافورة.

وفي الخطاب الافتتاحي وجه إمام الجماعة أنظارهم إلى أهمية وحدانية الله تعالى، وقال: ينبغي أن تتوجه جهودنا نحو ترسيخ هذا المبدأ في العالم. إن عالم اليوم متورط في عبادة آلهة شتى. وهناك من يلعبون دورَ الإله، ويحسبون أن بيدهم مقاليد العالم..

ويزعمون أنهم سيخلقون نظاما عالميا جديدا. وليس هناك أي بارقة أمل للعالم إلا في الرسالة التى جاء بها نبي الإسلام منذ ١٤ قرنا، ولن يكون للعالم فرصة البقاء إلا إذا انتبهوا إلى هذه الرسالة وعمِلوا بها.

وتحدث الإمام أيضا عن منشورات الجماعة التى صدرت أخيرا من مركزها في إسلام آباد، تلفورد، سرى.. حيث تقع دارها للطباعة، وقال: لقد قمنا بعون الله تعالى بترجمة القرآن الكريم إلى ٥٦ لغة من لغات العالم، ولسوف يبلغ عدد التراجم المائة في القريب، إن شاء الله.

وأكد حضرته على التربية الأخلاقية والتنشئة الروحية للأجيال الجديدة المسلمة في بلاد الغرب. وأثنى حضرته على جهود رشيد أحمد شودري رئيس لجنة كتاب الأطفال، لإنتاج ١٨ كتابا ممتازا للأطفال في زمن وجيز. وتترجم هذه الكتب الآن إلى لغات شتى. أثنى حضرته أيضا على الخدمات الممتازة التى قامت بها المدارس والمستشفيات الأحمدية في أفريقيا.

وتحدث إلى الاجتماع وزير صحة سيراليون، مبعوثا خاصا لرئيس سيراليون، وشكر للجماعة الإسلامية الأحمدية جهودها في خدماتها الإيثارية بالمجالات الصحية والتعليمية في البلاد.

وفي الخطبة الختامية علق إمام الجماعة على الموقف في باكستان حيث ينكر المتعصبون من العلماء على المسلمين الأحمديين حقوقهم الإنسانية المقررة، فيتعرضون للاضطهاد بسبب عقائدهم الدينية. وقرأ حضرته مقتبسات من أقوال القائد الأعظم.. محمد على جناح.. مؤسس باكستان وقال: إن باكستان اليوم تعرض صورة مختلفة تماما عن تلك التى تصورها السيد جناح. وقال: إن المشائخ الذين كانوا ضد قيام باكستان نفسها، بل وعارضوه بضراوة شديدة، يسيطرون اليوم على أمور الدولة، ونتيجة لذلك تسرع باكستان نحو الدمار.

وناشد حضرته السياسيين، والجيش المؤمن الشجاع، وكل وطني باكستاني.. أن يبذلوا كل ما في وسعهم لاسترجاع البلد من قبضة المشائخ المتعصبين، وأن يعودوا بالوطن إلى الطريق الذى تصوره مؤسس باكستان.. حيث تُحترم حقوق كل مواطن فيه بصرف النظر عن عقيدته، وحيث تصان الحريات.

منظر للاجتماع

ALTAQWA

ISLAMIC MONTHLY MAGAZINE

VOLUME No 5, ISSUE No 5, SEPTEMBER 1992

قال سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

(١)

«إن ذلك الحادث العجيب الذي جرى في برية العرب.. حيث بُعث مئات الألوف من الموتى في أيام معدودات.. وتحلّى بالأخلاق الإلهية أولئك الذين فسدت أخلاقهم على مر الأجيال، وأصبح العمي يبصرون، والبُكْم بالمعارف الإلهية ينطقون.. وحدث انقلاب في العالم لم تره عين، ولم تسمع به أذن قط.. هل تعرفون كيف حدث ذلك؟ إن تلك الدعوات التي دعا بها في جوف ليال حالكة.. عبدٌ متفان في الله.. هي التي أحدثت ضجة في الدنيا، وأظهرت العجائب التي يبدو صدورها مستحيلا على يد ذلك الأمي الضعيف الحيلة.

اللهم صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ عليه وآله.. بعدد همّه وغمّه وحزنه لهذه الأمة، وأنزِلْ عليه أنوارَ رحمتك إلى الأبد».

(الخزائن الروحانية ج ٦، بركات الدعاء ص ١٠ و ١١).

(٢)

«إنني دائما أنظر بعين الإعجاب إلى هذا النبي العربي.. محمد عليه ألف ألف صلاة وسلام. ما أرفع شأنه! لا يمكن إدراك سمو مقامه العالي، وليس بوسع إنسان تقدير تأثيره القدسي. الأسف، أن الدنيا لم تقدر مكانته حق قدرها. إنه هو البطل الوحيد الذي أعاد التوحيد إلى الدنيا بعد أن غاب عنها. إنه أحبَّ الله غاية الحب، وذابت نفسه تماما شفقة على خلق الله، لذلك فإن الله العالمَ بسريرته فضَّله على كل الأنبياء، وعلى الأولين والآخرين جميعا، وحقق له في حياته كل ما أراد».

(الخزائن الروحانية، ج ٢٢، حقيقة الوحي، ص ١١٨ إلى ١١٩).